مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

- اليهودية والمحروسة جـ 4
  محمد شومان
- الانبثاق
  Moussa Eightyzz
- مسيلمة رحمن اليمامة جـ 2
  مصطفى حجّي

دليلك لدحض الخرافات

جون كوك وستيفن ليونداوسكي

العدد السابع والثمانون من مجلة الملحدين العرب - فبراير / شباط لسنة 2020.

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّةٍ كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة تمثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤوليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.

كلمة تحرير المجلة

غالبًا ما يظهر للعيَان أن الملحدين بشكلٍ عام يعادون الأديان وحدها وينسبون لها شرور ونكبات العالم. ولكن إذا كنا واقعيّين وصريحين مع أنفسنا سندرك بأن هذه القراءة ليست دقيقةً، فالملحد ليس ملحدًا لأنه يكره الدين وحسب بل لأنه طوّر علاقةً وطيدةً مع الحقيقة تُنفّره من قبول ما هو باطلٌ أو كذبٌ لأي سببٍ كان ومهما كان الارتباط العاطفي والاجتماعي به وطيدًا. هذا هو جوهر الإلحاد. إدراك أن ما تُقدّمه الأديان من ادعاءاتٍ ليس إلا أكاذيب الغرض منها الوصول لغايةٍ سواءٌ ماديةً أم سياسيةً أو بأبسط الدوافع لتبرير الشرور وتجنّب الضمير وتجاهل تحمل المسؤوليات الفردية.

وعلى هذا الاساس من الطبيعي أن تتجلى هذه العلاقة مع الحقيقة والواقع في أطرٍ مختلفةٍ وخارج المجال الديني، ولكن للأسف ذلك لا يظهر للعيَان غالبًا، ويظهر الملحدون وكأنهم مترصّدون متقصّدون أن ينالوا من الدين دون غيره، مما يُسهّل على الجانب الديني أن يلعب دور الضحية ويروّج لنظرية المؤامرة.

أستطيع تخيّل بضع أسبابٍ تجعل من صوت الملحدين في نقد الدين دون غيره أعلى من باقي الأصوات،أهمّها هو جاذبية التابو المتمثل بالثورة على السلطة الفاسدة ووجود تبعاتٍ حقيقيةٍ ماديةٍ واجتماعيةٍ وسياسيةٍ مدمرةٍ لهذه القوى الدينية مما يجعل الوقوف في وجهها واجبًا أخلاقيًّا قبل أن يكون واجبًا وطنيًا. بالإضافة لعلو صوت المعارضة والعداء والدعاية (البروباغاندا) من جانب المؤسسات الدينية وشراستها في ردة فعلها ضد الملحدين مما يجعل المعركة ضد الأديان جذابةً أكثر وأكثر صخبًا مما يجعل المتابع من بُعدٍ يعتقد أن مشكلة الملحدين تكمن مع الدين فقط لا غير.

كما أنني أستطيع إضافة سببٍ آخر وهو أن العقلاء من المؤمنين يشتركون مع الملحدين في نقدهم لباقي المشاكل والظواهر الاجتماعية والثقافية السلبية مثل الإيمان بالسحر والشعوذة والتنجيم والعلاج بالطاقة الروحية أو البلورات. وحتى لا تفقد هذه الحركة التعاطف معها فإن الملحدين يختارون طواعيةً أن يُقدّموا جهودهم في محاربة هذه الآفات دون ذكر توجههم ورأيهم من قضية وجود الإله، وبهذا يقفون في صفٍ واحدٍ مع العقلاء من المؤمنين وبهذا يختفي ظهورهم أو بتعبيرٍ أصح لا تنسب للملحدين تلك الجهود التي تبقى بشكلٍ عامٍ أقل صخبًا من ضجيج المعركة الدائرة بين الملحدين والدين.

نحن كملحدين مشكلتنا ليست مع الدين فقط. وكبشرٍ واعين نقدّر الحقيقة ونعرف أن الواقع لا يخضع لرغباتنا وأهوائنا ليس فقط في المجال الديني بل وفي كل المجالات.

ولربما تجاهلنا تعريف الآخرين بهذا لدرجة أننا وُضعنا في صندوق كراهية الأديان بينما معركتنا الحقيقية والأكبر مع الأكاذيب والنصابين والعلوم الكاذبة والادعاءات الباطلة أينما وُجدت.

الغراب الحكيم

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير

الغراب الحكيم

أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver

Gaia Athiest

أسامة البني (الوراق)

Alia'a Damascéne

غيث جابري

Abdu Alsafrani

Rama Saleh

Raghed Rustom

Johnny Adams

ليث رواندي

إيهاب فؤاد

Yonan Martotte

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي

الفهرس

كلمة تحرير المجلة	2
الفهرس	3
الحرية الثقافية وجدل العادات والتقاليد والدِين د. عبد العزيز القناعي	4
اليهودية والمحروسة جـ 4: محمد شومان	8
الانبثاق Moussa Eightyzz	40
مسيلمة رحمن اليمامة جـ 2 قرآن مسيلمة، انتشاره وتأثيره مصطفى حجّي	48
دليلك لدحض الخرافات جون كوك وستيفن ليوناوسكي	57
لقائي مع الله (قصة قصيرة) وليد	76
كاريكاتور	90

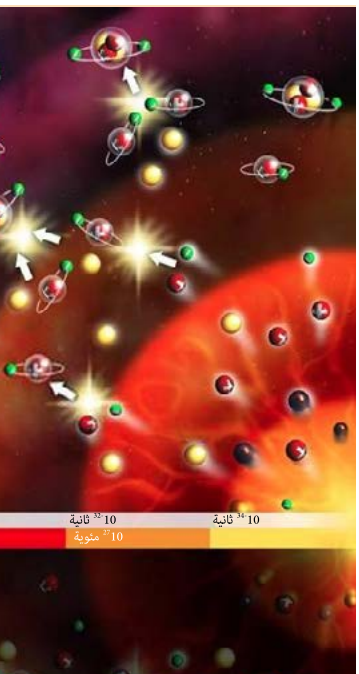

ملاحظة: عناوين المقالات هي روابط، انقروا عليها لتأخذكم مباشرةً إلى المقال

الحرية الثقافية وجدل العادات والتقاليد والدِين

د.عبد العزيز القناعي

الثقافة والقراءة هما من يحددان سلوك ونمط مجتمعٍ ما، كأداةٍ لقياس مؤشرات التنمية والحريات والتقدم العلمي والفكري وحتى الحضاري. وكما أن الإنسان يحتاج إلى الهواء والماء والطعام ليعيش، فإن الثقافة هي من تحدد له طريقة مزج هذه الأمور ونمط ممارستها. فكُلّما كان المجتمع واعيًا ومثقفًا فإنه إلى الإبداع أقرب وإلى النجاح ماض.

تعيش مجتمعاتنا العربية اليوم فتراتٍ متقلبةً أقرب إلى التوهان الثقافي والانغلاق الحضاري في ظل سيطرة التيارات الدينية والاستبدادية على سدة الحكم أو مؤسسات المجتمع المدني، وكنتيجةٍ لهذا الوضع الرث، فقد تم عزل وتجريم حرية الرأي والتفكير بحجة مخالفتها للعادات والتقاليد والإسلام، وتم محاربة كل من يحمل قلم النقد والشك والسؤال بحجة هدم الخصوصيات الثقافية والثوابت الوطنية والدينية، حتى أمست مجتمعاتنا مدن أشباحٍ لا حياة فيها ولا فن ولا إبداع ولا تلاقح ثقافات، وأمست شعوبنا كأجسادٍ فارغةٍ من الأمل والمستقبل والأحلام. ونظرًا لأن عنصر الثقافة والقراءة لا يُعتدّ به وليس له مستقبلٌ في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لأسبابٍ متعددةٍ من أبسطها نظام التعليم التلقيني ونمط المجتمع الاستهلاكي السريع، وإضافةً لذلك والأهم هو الحجْر على الآراء والأفكار من قِبل المجموعات الدينية وبتشريعاتٍ سياسيةٍ دينيةٍ كانت السبب في تكبيل الحريات وإطلاق العنان للكسل والتفكير بساقط الفكر والكتب.

في كل عامٍ ومنذ سنواتٍ طويلةٍ يعاني قطاع الثقافة في مجتمعاتنا العربية من جريمةٍ بشعة، من الخوف من كلمة اقرأ وابحث وانتقد واسأل. فخِطط التنمية والتطور

للحكومات العربية، جاءت عرجاء دميمةً، لا مكان للكتاب العلمي والنقدي والمنهجي فيها، بقدر ما تتواجد كتب الفقه والخرافات، والحلال والحرام، وتكفير اليهود والنصارى، وتفسير الأحلام وطبخ الطعام. وبقي الخطاب السياسي للأنظمة العربية شبه فارغٍ من أي دعمٍ وتشجيعٍ لتطوير البنية الثقافية، المتهالكة أصلًا بفضل المحسوبيات والواسطات والمصالح الشخصية، حتى دخل إلى هذا القطاع من يكره القراءة والكتابة ويرى التطوير والإنجاز هو فقط في المحافظة على الكراسي وتقبيل الأيادي ومحاباة أصحاب الإسلام السياسي والعادات والتقاليد البالية. بينما تكمن أهمية الجو الثقافي للمجتمعات المتحضرة، حين تقام معارض الكتب والنشر، واحتفالات القراءة، ومهرجانات الإبداع والتحدي، فيتبارى الجميع لجلب وشراء أروع الكتب وأفْيدها من أرجاء المعمورة لتكون زادًا ومنهلًا يزيد به الإنسان نهمه وشغفه إلى العلم والتعلم والتحليق مع الحضارات القديمة والجديدة والمستقبلية، وحتى تشتعل منارات التفكير ويختفي الظلم والجهل من العقول، وحتى تتفتح مناسم الحرية وتلقي بأصدائها على النفوس فتزيدها بريقًا وتوجهًا، يراه الظمآن ماءً عذبًا زُلالًا، لا سرابًا ميتًا.

إن الثقافة العربية، بأدواتها المؤسساتية ومضامينها القيمية، هي من صنعت الإنسان العربي العاجز، ودفعته إلى القبول بما يريد الآخرون أن يفكروا بدلًا عنه. وما حكايات المنع والقمع لعددٍ من الكتب والأبحاث من مختلف الدول، ما هو إلا دليل فشلٍ وتخلفٍ يضاف إلى ما تملكه الأنظمة وتيارات الإسلام السياسي من قوةٍ وسيطرةٍ على مجريات الأمور وذلك في غفلةٍ ثقافيةٍ من قِبل النخب ومفكري النهضة.

إن كانت هناك مشكلاتٌ كبرى لم نواجهها بوعيٍّ ووضوح، في بقاء البنى الفكرية والسياسية والاجتماعية، متخلفةً ومستبدةً ورجعيةً، فهي عدم مقاربتنا لمسائل حيويةٍ ومصيريةٍ تتعلق بالثقافة والفكر والبحث في مجتمعاتنا، وأهم تلك المشكلات، علاقة الديمقراطية بالثقافة والإسلام، وحدود المباح والحرام في الفكر والسؤال والنقد، وهل للثقافة حدودٌ وزمانٌ ومكان؟ وقد يكون هذا هو السبب في عدم مقدرتنا على حل المشاكل واتساعها لتطال كل مناحي الحياة وبالأخص ما نعانيه من جفاءٍ واختفاء الروح الثقافية واعتزالها للحياة في صورةٍ يتيمةٍ لا باكي لها. إن تراجعنا المعرفي أو بالأحرى تخلفنا في مختلف الميادين، منبعه إقصاء الدور الثقافي في المجتمع وتحريم السؤال والنقد والشك، فتطوّرُ المجتمعات ونموها يعتمد اليوم اعتمادًا كبيرًا على الدور الفكري والمعرفي للمجتمع، فهو من يساعد على التقدم الحضاري أو التراجع والتخلف، فكيان مجتمعٍ ما أو إطاره العام يتحدد من مجموعة عاداته وتقاليده ونظامه الديني والسياسي وفنونه المختلفة، وهو ما يُعرف بالثقافة، وهي التي تحدّد لاحقًا دور المجتمع في التطور أو الانكماش. ولعل تجارب الدول والحضارات القديمة كالتراث اليوناني الإغريقي والفرعوني، أو الحضارات الحديثة، الأمريكية أو الفرنسية، اليابانية، جميعهم جعلوا من الثقافة والتعليم والفكر دربًا لهم للتقدم والازدهار فكان لهم ما أرادوا من تطورٍ وتفوقٍ على الأمم والشعوب الأخرى.

هذه المفاهيم (الديمقراطية، حرية الرأي والفكر، الإسلام وحدود المنع والتحريم، العادات والتقاليد) تجرنا إلى طبيعة العلاقة ما بين الثقافة المفترضة والسلطة السياسية، وما هي المعايير التي تتبعها الأنظمة في سبيل تعزيز الدور الفكري والثقافي للشعوب والمجتمعات عامةً؟ بلا شكٍّ إن الأنظمة العربية اليوم عاجزةٌ تمامًا عن القيام بدورها في الحفاظ على المجال الفكري والمعرفي والثقافي مجردًا من كل تدخلٍ دينيٍّ تمارسه المؤسسات الإسلامية، أو من التدخلات القبلية والطائفية التي تمنع كل نقدٍ يطالها. وهو ما جعل من الواقع الثقافي العربي هشًا لا يحمل الكثير من المشاريع النهضوية والفكرية الرائدة. إذ دخل الإسلام والعادات والتقاليد كسلاحٍ سياسيٍّ ومجتمعيٍّ ضد مواجهة الحقائق التاريخية وتشريح الذات والذهنية العربية وتطور المجال الفكري والعلمي.

المشهد الثقافي العربي اليوم، في زمن السيطرة العقلية باسم العادات والتقاليد والإسلام، أخذت مفاهيم الديمقراطية وحرية الرأي والبحث والإبداع، تتراجع إلى أدوارٍ مخيفة، جعلت من أي محاولةٍ للكتابة والتساؤل محاولةً تُعرّض صاحبها إلى الاعتقال أو القتل، وتداعت الأنظمة العربية بتشاركٍ مع قوى الظلام والرجعية والإسلام السياسي، في تحجيم دور وأهمية الثقافة وربطها بالتغريب والإلحاد والكفر.

إن الكلمة اليوم، هي الأحرف التي تتداعى، وتحاول الوصول إلى العقول، لتستقر فكرًا ومنهجًا في الحياة، فلا تدعوا الظلام يسلب هذه الحرية أمام ناظرينا من أجل صفقاتٍ وأوهامٍ وترهات، فحين يعجز الإنسان عن تحقيق الحياة والأمل، وهذا ما نحن عليه، فكيف تريدون أن تكون مجتمعاتنا متقدمةً ومتطورةً ومتحضرةً بعد سلب الحرية الثقافية منها؟

اشترك الآن

YouTube

في قناتنا على اليوتيوب

https://www.youtube.com/c/ahmedzayedchannel

قرابة 10 مليون مشاهدة و70 ألف مشترك

أحمد سعد زايد

قناة أحمد سعد زايد على اليوتيوب هي قناة معنية بالتنوير الفكري والثقافي وهي محاولة للتفكير الموضوعي العقلاني معًا.

وتجدون فيها العديد من السلاسل ومنها:

- **ألف باء فلسفة لتبسيط المعرفة الفلسفية**
- **تاريخ الحضارة العربية الاسلامية**
- **سلسلة تعريفية برموز فكرية عربية وغربية كالمعري والرازي وأرسطو وماركس وراسل**
- **سلسلة بتحليل خلافات الصحابة وقتالهم**
- **سلسة تطور تاريخ الإيديولوجيات السياسية والفلسفات**

وغير ذلك كثير من محاضرات ومقابلات لرموز فكرية فالقناة بها أكثر من 700 محاضرة، وهي جهد طويل ومتواضع من العمل الثقافي ومحاولة نشر الوعي والعقلانية والعلمية قدر المستطاع للمتحدثين بالعربية.

للتواصل معنا على صفحة القناة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/aszayedtv

صفحة أحمد سعد زايد الشخصية:
https://www.facebook.com/ahmedsaadzayed

لدعم القناة: https://www.patreon.com/ahmedzayed https://www.paypal.me/ahmedsaadzayed/100

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

وصلنا إلى الجزء الأخير من سلسلة مقالات اليهودية والمحروسة، حيث نقدم هذه المرة الأسفار الثالث والعشرين إلى السابع والعشرين الذي يحوي خاتمةً وخلاصةً لهذه الرحلة.

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

السفر الثالث والعشرون: كلكول ودردع

وهكذا بدأت فترة حكم سليمان الشهير بالحكيم، أما لماذا لقب بالحكيم فبسبب أن امرأتين اختصمتا إلى سليمان في موضوعٍ طريف، فقد ولدت كلًّا منهما ابنا بفارقٍ زمنيّ، ثلاثة أيام، فمات أحد الطفلين وادعت الامرتان أن الطفل الحي هو ابنها، وهنا تجلت عبقرية سليمان فحكم بقطع الطفل إلى نصفين وتأخذ كلًّا منهما نصفه؟ فوافقت الكاذبة في حين رفضت الأم الحقيقية، وهنا حكم سليمان ببنوة الطفل للأم التي رفضت شقه نصفين...!

غنيٌّ عن القول أن هذه القصة لا تصلح للتدريس إلا في معهدٍ للمتخلفين عقليًا أو في خطبةٍ كهنوتيةٍ عصماء موجهةٍ من كاهنٍ ورعٍ إلى مؤمنٍ معاقٍ ذهنيًا، على كلٍ لم نكتشف نحن مكمن العبقرية والحكمة في هذه القصة الساذجة، فقد كان يكفي سليمان أن يرسل إلى الداية التي ولدّت الامرأتين ويسألها أيهما وضعت طفلها أولًا هكذا بكل بساطة- وإن كان لا اعتراض لنا على تسمية سليمان بالحكيم- ولكن لنحاول أن نعرف سبب حكمته الحقيقي من طريقته في إدارة المملكة.

قلنا أن سليمان ابن الطاهرة بثشبع من داود قد تولى الحكم خلفًا لوالده المقدس داود متخطيًا أخاه أدونيا الأحق بالعرش لأنه ابنٌ شرعي أكبر للملك الراحل- هناك شكٌ في شرعية زواج المرأة من قاتل زوجها، فهذا الزواج لا يقبله شرعٌ ولادينٌ ولا عرفٌ ولا حتى أخلاقٌ وبالتالي يصير هناك نوعٌ من الشك حول أبناء مثل هذا الزواج وتزداد كارثة اهتزاز الشرعية هذه إذا ما علمنا أن السيد المسيح عليه السلام من نسل سليمان الذي هو ثمرة هذه العلاقة- ولكننا نعلم من المسار التاريخي للبشرية التعساء أن الشرعية الفعلية تكون للأقوى.

أما أدونيا الذي تنازل عن العرش وركع أمام سليمان مبايعًا فقد كان على ما يبدو حَسن النية، إذ ذهب إلى الفاضلة بثشبع راجيًا إياها أن تتوسط له عند سليمان لكي يهب له الفاتنة الصغيرة أبيشج الشونمية التي أكدت لنا التوراة أن مهمتها قد انحصرت في تدفئة جسد النبي الواهن، وأنه لم يعرفها كزوجة، أما رد سليمان على هذا الطلب البريء فكان أن قال لوالدته:

«وَلِمَاذَا أَنْتِ تَسْأَلِينَ أَبِيشَجَ الشُّونَمِيَّةَ لأَدُونِيَّا؟ فَاسْأَلِي لَهُ الْمُلْكَ لأَنَّهُ أَخِي الأَكْبَرُ مِنِّي!» (الملوك الأول 2: 22).

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

إذن رأى سليمان في هذا المطلب خطوةً أولى من خطواتٍ قد يتخذها أدونيا للوصول إلى العرش.

«فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ بِيَدِ بَنَايَاهُو بْنِ يَهُويَادَاعَ، فَبَطَشَ بِهِ فَمَاتَ» (الملوك الأول 2: 25).

وكان هذا القرار هو أول قرارات سليمان الحكيم بعد اعتلائه للعرش وهو قتل أخيه الأكبر، وهو قرارٌ لا نستطيع من وجهة نظرٍ إنسانيةٍ أن نقول عنه أنه يشعّ حكمةً، ولكن ربما تأتي حكمته من كونه يسعى لإزاحة منافسيه عن العرش، أي أنه ربما كان قرارًا سياسيًا حكيمًا، ولكننا لا نستطيع أن نتبين وجه الحكمة فيه من وجهة نظرٍ إنسانية.

أما ثاني القرارات السليمانية الحكيمة فكانت من نصيب أبياثار الكاهن الذي كان من المؤيدين لأدونيا:

«وَقَالَ الْمَلِكُ لأَبِيَاثَارَ الْكَاهِنِ: «اذْهَبْ إِلَى عَنَاثُوثَ إِلَى حُقُولِكَ، لأَنَّكَ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ، وَلَسْتُ أَقْتُلُكَ فِي هذَا الْيَوْمِ» (الملوك الأول 2: 26).

إذن فقد كان نفي الكاهن إلى بلدته هو ثاني قراراته الحكيمة، أما وجه الحكمة كما نراها في هذا القرار فتأتي من تفهم سليمان للعقلية الدينية لدى الشعب، فالمؤمن الورع قد يتقبل قتل الملك لأخيه باعتباره شأنٌ أسريٌّ داخلي، ولكنه أبدًا لن يتقبل قتل الملك لكبير الكهنة باعتباره تعدٍّ على الذات الإلهية المتمثلة في كاهن الرب، أي أن الشعوب البدائية- وحتى المتحضرة- لا تستطيع أن تفصل بين الصورة الذهنية لديها عن الرب وبين الشخص الذي يدّعي أنه ممثل هذه الصورة الذهنية، وبالتالي فقد تجلت حكمة سليمان في اكتفائه بنفي كبير الكهنة بدلًا من قتله في وقتٍ مازال هو شخصيًا يبحث عن تثبيت شرعيته.

وعندما سمع قائد الجيش يوآب بما حدث لأبياثار الكاهن حدث له ذعرٌ وتأكد بأن الخطوة التالية سوف تكون من نصيبه هو:

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

«فَهَرَبَ يُوآبُ إِلَى خَيْمَةِ الرَّبِّ وَتَمَسَّكَ بِقُرُونِ الْمَذْبَحِ. فَأُخْبِرَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ بِأَنَّ يُوآبَ قَدْ هَرَبَ إِلَى خَيْمَةِ الرَّبِّ وَهَا هُوَ بِجَانِبِ الْمَذْبَحِ. فَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ بَنَايَاهُوَ بْنَ يَهُويَادَاعَ قَائِلًا: «اذْهَبِ ابْطِشْ بِهِ» (الملوك الأول 2: 29).

وهنا نحن أمام موقفٍ غريب، قائد جيش داود المدافع عن الشرعية المتمثلة في ابن الحلال البكر أدونيا يخاف من النبي الملك الحكيم فيهرب من بطشه الذي لا يوجد مبررٌ أخلاقيٌّ له ويحتمي في داخل بيت الرب، وفي قدس أقداس هذا البيت الذي هو المذبح، ولكن النبي الحكيم يضرب عرض الحائط بقداسة المكان وبرب هذه القداسة ويأمر بقتل الرجل حتى لو كان متعلقًا بقرون المذبح، ترى هل سُمي الحكيم لهذا السبب...؟

ونلاحظ هنا أيضًا عبارة «وتمسك بقرون المذبح» ...! يا إلهي أما زال اليهود حتى في أوج مجدهم السياسي يعبدون البقرة أو العجل المصري الشهير الذي أخذوا فكرته معهم أثناء خروجهم من مصر منذ مئات السنين؟ أما زال في المعبد المخصص ليهوه قرونٌ يتمسك بها قائد الجيش؟ أيعبد اليهود العجل المصري بعد الخروج الكبير بمئات السنين؟ وللحق أن اليهود كما نعتقد من دراسة توراتهم لم يؤمنوا أبدًا بإلهٍ واحدٍ كما يدعي الدارسون، بل على الأرجح كان يهوه إلههم واحدًا من الأرباب الكثيرة التي يمتلئ بها الكون، وكانت عبادة يهوه تطغى على غيرها من العبادات فقط في لحظات الضعف السياسي أو العسكري ليعود بعدها اليهود إلى تعدد الآلهة.

وبعد أن اطمأن سليمان إلى خلو الساحة من المنافسين على العرش بدأ يبحث لنفسه عن زوجةٍ مناسبة:

«وَصَاهَرَ سُلَيْمَانُ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ» (الملوك الأول 3: 1).

ولا ندري نحن على وجه الدقة إن كان هذا الزواج قد حدث فعلًا أم أنه مجرد هراءٍ توراتيٍّ لرفع شأن سليمان، فالكثير من الباحثين ينكرون إمكانية وقوع مثل هذه المصاهرة، وإن كنا نحن لا نستبعدها لسببٍ بسيطٍ هو أن مصر في تلك الفترة- حوالي القرن العاشر قبل الميلاد- كانت إما خاضعةً لحكم الكهنة الذي بدأ بالكاهن حريحور، أو أنها كانت قد وقعت تحت حكم الليبيين الذين أخذوا البلد من الكهنة، وفي الحالتين لم يكن الحاكم المغتصب للعرش ليمانع في مصاهرة ملك إسرائيل، بل أننا ندعي أن قيام الحكم الكهنوتي في مصر الفرعونية ربما كان من أسباب قيام الحكم الكهنوتي في إسرائيل أيضًا (ولأن التاريخ قد يعيد نفسه فها هي فلسطين على مشارف الحكم الكهنوتي بقيادة حماس، وكذلك مصر على مشارف الردة الكهنوتية بعد نجاح الكهنة في اختراق مجلس الشعب المصري) ، كما أننا نلاحظ

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

أن التوراة لم تذكر على الإطلاق أي اسمٍ لملكٍ مصري، فكلهم بالنسبة لها «فرعون» مع أنها تذكر أسماء أقل شأنًا بكثير، وإن دلّ هذا على شيءٍ فإنما يدل على أن كاتب التوراة لم يكن يمتلك أي معلوماتٍ عن مصر الفرعونية على الإطلاق، أو إذا تعاملنا بحسن نيةٍ قلنا أن التوراة عند كتابة وقائعها بعد حدوثها بمئات السنين أخفى الكاتب جهله بتفاصيل الأحداث في التغاضي عن كل ما من شأنه أن يُظهر جهله.

وتُحدثنا التوراة عن الحكمة العظيمة التي تمتع بها سليمان:

«وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةَ جَمِيعِ بَنِي الْمَشْرِقِ وَكُلَّ حِكْمَةِ مِصْرَ. وَكَانَ أَحْكَمَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، مِنْ إِيثَانَ الأَزْرَاحِيِّ وَهَيْمَانَ وَكَلْكُولَ وَدَرْدَعَ بَنِي مَاحُولَ» (الملوك الأول 4: 31-30).

وهكذا أقنعتنا التوراة بحكمة سليمان عند مقارنتها بباقي حكماء المشرق هيمان وكلكول ودردع الذين لم يسمع أحد بأسمائهم أساسًا لا بين بنى المشرق ولافي أي جهةٍ أخرى في العالم، إلا إذا كان كلكول ودردع أشهر من فرعون مصر المجهول دائمًا في الخطاب التوراتي...؟

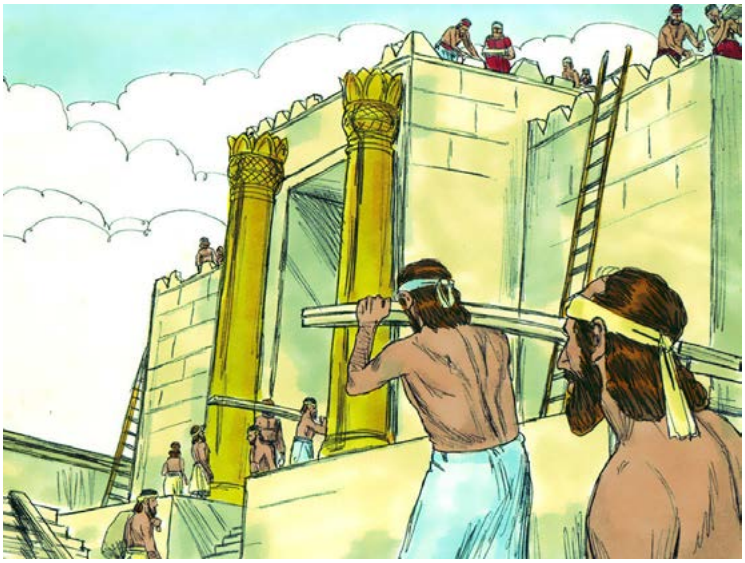

وبعد أن ملك الحكيم سليمان زمام الأمور قرر أن يشكر الرب على نعمته عليه ويبني له معبدًا هو الأشهر في التاريخ- كان الرب يهوه حتى هذه اللحظة ما يزال يسكن في خيمة- وسخّر سليمان كل جهود البلد في بناء هذا المعبد العظيم:

«وَسَخَّرَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتِ السُّخْرَةُ ثَلاَثِينَ أَلْفَ رَجُل. فَأَرْسَلَهُمْ إِلَى لُبْنَانَ عَشْرَةَ آلاَفٍ فِي الشَّهْرِ بِالنَّوْبَةِ. يَكُونُونَ شَهْرًا فِي لُبْنَانَ وَشَهْرَيْنِ فِي بُيُوتِهِمْ. وَكَانَ أَدُونِيرَامُ عَلَى التَّسْخِيرِ. وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَحْمِلُونَ أَحْمَالاً، وَثَمَانُونَ أَلْفًا يَقْطَعُونَ فِي الْجَبَلِ، مَا عَدَا رُؤَسَاءَ الْوُكَلاَءِ لِسُلَيْمَانَ الَّذِينَ عَلَى الْعَمَلِ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَثَلاَثَ مِئَةٍ» (الملوك الأول 5: 16-13).

إذا جمعنا الأرقام التي أوردتها التوراة لعدد العمال العاملين في مشروع المعبد العظيم لبلغوا 183300 عامل، وقضت هذه الآلاف حوالي سبع سنواتٍ في تشييد الهيكل العظيم فخر اليهودية على مدار التاريخ إلى يومنا هذا، والعصر الذهبي للدين والدولة اليهودية، ترى كم كانت مساحة هذا المعبد الذي اشترك في بنائه حوالي مئتي ألف عاملٍ لمدة سبع سنواتٍ

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

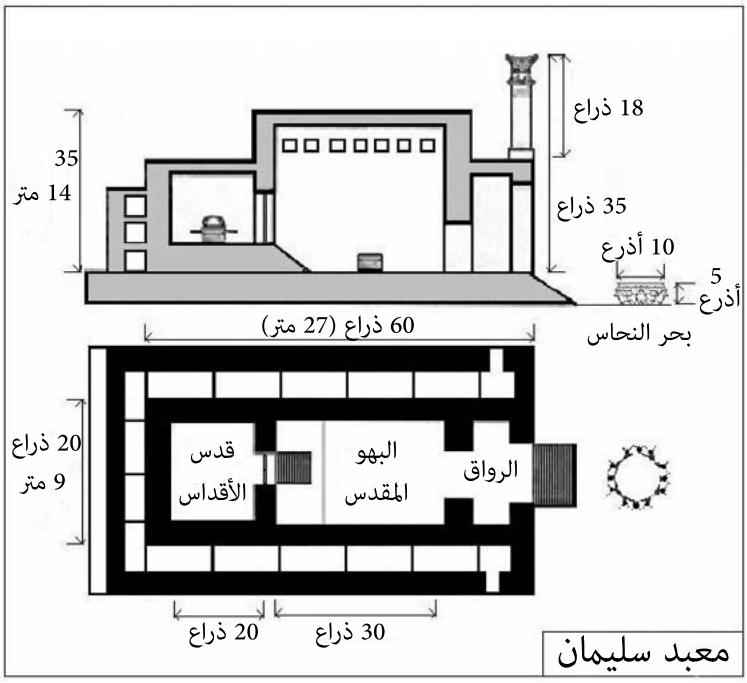

متواصلة، مع ملاحظة أن الهرم الأكبر قد اشترك في بنائه مئة ألف عاملٍ لمدة عشرين عامًا، نترك التوراة نفسها تخبرنا عن هذا الإنجاز الإعجازي:

«وَالْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِلرَّبِّ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَسَمْكُهُ ثَلاَثُونَ ذِرَاعًا. وَالرِّوَاقُ قُدَّامَ هَيْكَلِ الْبَيْتِ طُولُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا حَسَبَ عَرْضِ الْبَيْتِ، وَعَرْضُهُ عَشَرُ أَذْرُعٍ قُدَّامَ الْبَيْتِ» (الملوك الأول 6: 3-2).

والآن إذا علمنا أن الذراع اليهودي القديم يساوي 52 سم فإن طول المعبد يكون 31 متر، وعرضه 10.5 متر، وارتفاعه 15.5 متر...!

أي أن هذا المعبد العظيم لا يساوي أكثر من مرحاضٍ في معبد الكرنك...!؟

ويصبح التساؤل هو كيف يمكن التوفيق بين الأرقام الضخمة التي توردها التوراة وبين الإنجاز الهزيل هذا الذي تذكره التوراة نفسها؟ فكيف يعمل مئتا ألف فردٍ لمدة سبع سنواتٍ في بناء حجرةٍ هزيلةٍ لا تقارن بحجرة استقبالٍ في بيتٍ ريفيٍّ فرعوني؟ ويصبح الأكثر مدعاةً للتساؤل هو عن إيمان الشعب بعظمة المعبد المزعوم على مدى عشرات القرون في حين أن المسطور في كتابهم أنه ليس إلا بناءً صغيرًا قد لا يُرى بالعين المجردة في وسط باقي المباني، ولا نجد أمامنا تفسيرًا منطقيًا لهذه الحالة إلا ما ننادي به دائمًا أو بمعنًى أدق وهو ما نحذّر منه دائمًا، وهو أن الكهنة يعطيهم العرف السائد الحق في تجاهل الكلمات المسطورة في جميع الكتب المقدسة واختراع آراء جديدةٍ قد لا تمت للكلمات المقدسة بِصلة- هذا إذا افترضنا أصلًا أن الكلمات المسطورة هي ذاتها مقدسة- ومع ذلك لا نجد تبريرًا للإيمان الأعمى من البشر السذج بأقوال الكهنة التي تتعارض جوهريًا مع النص المقدس، إلا إذا آمنا بأن الكهنة قد نجحوا على مر القرون في تدجين المؤمنين وتحويلهم إلى كائناتٍ بلهاء لا همَّ لها إلا قطف الحكمة من فوق شفاه الكهنة المعصومين من الخطأ والمدركين حتى لما لا يدركه الإله، ولعلنا نجدها فرصةً مناسبةً للتوسل لأتباع الكهنة أن يعرضوا أنفسهم على طبيبٍ نفسيٍّ ليعالجهم من مرضْ «عته المريض المنغولي».

وبإتمام بناء الهيكل المقدس شرع النبي سليمان في إحضار تابوت عهد الرب من مدينة داود إلى أورشليم- وكان قد مضى على الإله يهوه مئات السنين وهو قانعٌ بالحياة داخل تابوتٍ وسط خيمةٍ صغيرة، وآن له أخيرًا أن يتمتع بحياته داخل

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

هيكلٍ محترمٍ مثله مثل باقي الآلهة الأقل شأنا- وفي الاحتفالية العظيمة بتدشين البيت وقف سليمان مخاطبًا الرب بكل تواضعٍ قائلًا:

«إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سُكْنَى، مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ» (الملوك الأول 8: 13).

ولكنه للأسف لم يصدق في كلامه، فقد طرده تيطس الروماني منه نهائيًا بعد بضعة قرون.

ثم صلى سليمان إلى الربّ قائلًا:

«أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، لَيْسَ إِلهٌ مِثْلَكَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَلاَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ» (الملوك الأول 8: 23).

إذن فقد كان المقدّس سليمان يرى أن يهوه ما هو إلا إلهٌ محليٌّ لقبيلة بني إسرائيل فقط، بينما هناك آلهةٌ أخرى للأمميين ولكن يهوه هو الأعظم بينهم...!

وكتحيةٍ من سليمان لربه يهوه، قام سليمان بأكبر مجزرةٍ حيوانيةٍ سمعنا عنها في التاريخ:

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

«وَذَبَحَ سُلَيْمَانُ ذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ الَّتِي ذَبَحَهَا لِلرَّبِّ: مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، وَمِنَ الْغَنَمِ مِئَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، فَدَشَّنَ الْمَلِكُ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَيْتَ الرَّبِّ» (الملوك الأول 8: 63).

إذن فقد كانت هدية سليمان لربه عدة ملايين من الكيلو جرامات من اللحوم، حُرقت على مذبح الرب ليشتم رائحتها الرب يهوه فيزداد رضاه على عبده الحكيم.

وفي منتصف فترة حكم سليمان الحكيم أي بعد عشرين سنةً من توليه العرش يفاجئنا كاتب التوراة بأن سيطرة سليمان لم تكن كاملةً حتى على دولة فلسطين، مع أن المفترض في الفكر الديني أن سليمان كان أعظم ملوك الأرض قاطبةً، وهاكم النص المقدس:

«صَعِدَ فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ وَأَخَذَ جَازَرَ وَأَحْرَقَهَا بِالنَّارِ، وَقَتَلَ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَعْطَاهَا مَهْرًا لابْنَتِهِ امْرَأَةِ سُلَيْمَانَ» (الملوك الأول 9: 16).

إذن فقد قضى سليمان العظيم عشرين عامًا في الحكم عاجزًا عن إخضاع مدينةٍ صغيرةٍ هي مدينة جازر، مما دفع بفرعون مصر إلى أن يصعد إليها ربما بكتيبةٍ من رجاله ليحرقها ويسلّمها هديةً منه لسليمان (أيها التاريخ الكهنوتي كم من الجرائم تُرتكب باسمك).

ولكن كاتب التوراة لا يستحي من القول:

«وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِذْوَدٍ لِخَيْلِ مَرْكَبَاتِهِ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ» (الملوك الأول 4: 26).

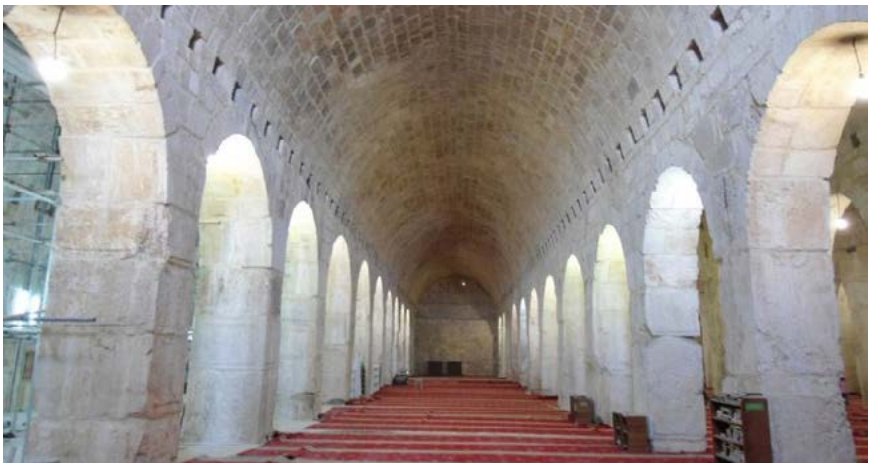

المصلّى المرواني، موقع اسطبلات سليمان الأسطورية

أربعون ألف مذودٍ للخيل...! ترى كم كان عدد الخيل التي تعيش في أربعين ألف مذودٍ...؟ وأين كانت هذه الخيل وهؤلاء الفرسان حين عجز سليمان عن فتح مدينة جازر لمدة عشرين عامًا، ألا يخجل هؤلاء السفلة من هذا الكذب الفج؟ ألا يوجد في جميع المؤمنين مؤمنٌ رشيد؟، هل الإيمان يلغي العقل والمعقول والمنطق ويجعلنا نبلع يونس والحوت معًا...؟

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

قالت لنا التوراة سابقًا أن سليمان كان أحكم من هيمان وكلكول ودردع، ونحن بدورنا لا نجد لدينا اعتراضًا على كون سليمان أحكم من كلكول ودردع، بل إننا قد نذهب إلى آخر المدى ونحكم على المنكِر لذلك بالخروج عن المعلوم من الدين بالضرورة، وتضيف التوراة لذلك هذا الإنجاز التاريخي لسليمان:

«وَكَانَ صِيتُهُ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ حَوَالَيْهِ. وَتَكَلَّمَ بِثَلاَثَةِ آلاَفِ مَثَل، وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ أَلْفًا وَخَمْسًا» (الملوك الأول 3: 32-31).

مخطوطة تعاليم أمينيموبي، المتحف البريطاني

أما بالنسبة للأمثال المنسوبة لسليمان في التوراة فيا ليتها لم تنسب إليه، فقد اتضح أنها مقتبسةٌ بالمعنى أحيانًا، وبالنص في معظم الأحيان من الحكيم المصري أمينيموبي، وعلى من يريد التأكد أن يرجع إلى الدراسة التي قام بها عالم المصريات الشهير «جيمس هنري برستد» في كتابه (فجر الضمير)، هذا عن الأمثال، أما الأناشيد فيا ليت التوراة لم تذكرها أصلًا فهي عبارةٌ عن مقطوعةٍ جنسيةٍ فاحشة، ولا ندري والله كيف يتعبد بها المؤمنون والمؤمنات في خلواتهم، ولا ندري كيف يمكن لأبٍ محترمٍ أن يقرأ هذه الآيات الكريمة على مسامع أولاده:

«مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ. سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. ثَدْيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ» (نشيد الأنشاد 7: 3-1).

هذا جزءٌ من نشيدٍ من أناشيد الحكيم سليمان التي يحدثنا فيه بحكمته عن البطن والسرة والفخذ في سبيل الوصول إلى ما هنالك، طبعًا هذا لا يمنع الكهنة المتنطعين أن يفسروا هذه المقطوعة الجنسية تفسيرًا رمزيًا، فالسرة ليست سرة المرأة التي نعرفها بل هي إشارةٌ إلى العالم الدنيوي الذي لا يشبع من الأكل، أما الثديان فيرمزان إلى نقاء الصدر العامر بالإيمان بيهوه، أما الفخذان فهما بالتأكيد يرمزان إلى المشي في طريق الله...!

وفي نصٍ مقدسٍ آخر:

«مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ! قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ. قُلْتُ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا. وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ، وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ» (نشيد الأنشاد 7: 9-6).

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

وطالع النخل هذا ليذوق حلاوة ملمس الثدي من أقوال سليمان المقدسة أيضًا التي يتضمنها الكتاب المقدس الذي يتعبد العابدون بتلاوته، ويرى الكهنة المقدّسون أن هذه التعبيرات الجنسية لا يجب أن تؤخذ بحرفيتها بل هي دلالةٌ مجازيةٌ عن اقتران الرب يهوه بعروسه المختارة إسرائيل، بينما يبتسم المسيحيون في سخريةٍ من جهل الكهنة اليهود بتفسيرات كتابهم المقدس فهو إنما يتحدث عن اقتران المسيح بعروسه المختارة أي الكنيسة...؟

أي والله هذه هي بعض تفسيرات الكهنة لهذه المقطوعة الجنسية الفاحشة التي لا ندري من دسّها على الكتاب المقدس لتصبح مادةً للعبادة والتلاوة، وتُذكرنا هذه المقطوعة بحادثةٍ ذكرها أنيس منصور في كتابه (حول العالم في 200 يوم)، فذات يومٍ كان في زيارةٍ لجامعٍ في الهند على ما أذكر ووجد في مكتبة الجامع بعض الكتب الإسلامية التي يتبارك بها العابدون وكلها مكتوبةٌ باللغة العربية التي يجهلها الهنود، المهم أن الكاتب فوجئ بكتاب (ألف ليلة وليلة) وكتاب (كليلة ودمنة) مع الكتب المقدسة ومحاطةً بعلامات ومظاهر التبجيل، ونعتقد أن شيئًا من هذا القبيل قد حدث في الأزمان الغابرة بالنسبة لنشيد الأنشاد التوراتي المقدس....!

هذا قليلٌ من كثيرٍ مما يخص الإبداع السليماني، أما عن حالة الشعب تحت هذا الحكم المبارك فيبدو أنه كان يعيش في الجنة لا على الأرض:

«وَجَعَلَ الْمَلِكُ الْفِضَّةَ فِي أُورُشَلِيمَ مِثْلَ الْحِجَارَةِ، وَجَعَلَ الأَرْزَ مِثْلَ الْجُمَّيْزِ الَّذِي فِي السَّهْلِ فِي الْكَثْرَةِ» (الملوك الأول 10: 27).

يا لها من حياةٍ رغدةٍ عاشها الشعب تحت الحكم المبارك للملك الحكيم فالفضة ملقاةٌ في الشوارع مثل الحجارة لا تجد من يجمعها والأرز مثل الجميز الذي في السهل، ليتنا كنا هناك لنجمع هذه الفضة في هذا العصر الذهبي، فإذا أضفنا إلى ذلك فخر الشعب بمليكه الذي أصبح محط أنظار العالم:

«فَتَعَاظَمَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الأَرْضِ فِي الْغِنَى وَالْحِكْمَةِ. وَكَانَتْ كُلُّ الأَرْضِ مُلْتَمِسَةً وَجْهَ سُلَيْمَانَ لِتَسْمَعَ حِكْمَتَهُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي قَلْبِهِ» (الملوك الأول 10: 24-23).

بالنسبة للحكمة علمنا أن سليمان أحكم من كلكول ودردع، وبالنسبة للغنى رأينا كيف جعل الملك الفضة في الشوارع كالحجارة لا تجد من يحملها، أما بالنسبة لملوك الأرض الذين تعاظم عليهم المَلك سليمان فلم تذكر التوراة سوى ملكةٍ واحدةٍ ذهبت لزيارته لتأخذ بعضًا من حكمته، هذه الملكة هي السيدة بلقيس ملكة سبأ...! والبحث جارٍ الآن في سجلات المشرق للعثور على الملكة المدعوة بلقيس ملكة سبأ والأمل كبيرٌ في أن نعثر عليها ذات يوم.

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

إذن فقد عاش اليهود جنتهم على الأرض تحت الحكم السليماني من عزٍّ وثروةٍ وحكمةٍ وسلطان، ولكن دعونا لا نتهور في أحكامٍ مسبقة.

السفر الرابع والعشرون: نهاية سليمان الحكيم

تقول التوراة:

«وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ» (الملوك الأول 11: 1).

ومن جهتنا نرى أن هذا حقٌّ شرعيٌّ له كرجلٍ شرقيٍّ وأيضًا كملكٍ لمملكةٍ عظيمةٍ الشأن، ولكننا نُصاب بالذعر من النص التالي:

«وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ» (الملوك الأول 11: 3).

يا إلهي، ألف امرأةٍ في عصمة رجلٍ واحد، ولن نسأل لماذا بل نسأل كيف يستطيع رجلٌ واحدٌ حتى لو كان أحكم من كلكول ودردع أن يروي عطش ألف امرأة، وكيف كان هذا الملك الهمام يجد الوقت بعد إدارة شؤون المملكة أن يطوف على نسائه، بل هل كان يستطيع أن يعرف أسمائهن؟ وما نوعية الأكل الذي كان يأكله ليتمكن من مضاجعة ألف امرأة، ونتساءل مع (ليو تاكسل) كيف كان يجد الوقت الكافي لخلع سراويلهن واحدة بعد الأخرى، وإذا كان سليمان الجد الأعظم للمسيح والفخر الأكبر لليهود يعتلي ألف امرأة، فلماذا يستكثرون على محمدٍ نبي الإسلام تسعة نسوةٍ فقط؟ وإذا كان جد المسيح يضاجع ألف امرأةٍ فلماذا لم يَسِر مسيحنا المبجل على دربه الفحولي؟ من جهتنا فنحن لا نستطيع

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

مهما حاولنا أن نخفي حقدنا على فحولة النبي المبجل سليمان وقدرته على مضاجعة ألف امرأة، وندعو الله أن يتوب علينا ويتجاوز عن سيئاتنا لنصبح من عباده الفحول فلربما نستطيع يوما أن نضاجع أربع نسوة، وهو فقط ما يسمح به الشرع لنا.

ولكن ها هو حقدنا على سليمان الحكيم قد أتى بثماره:

«وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلًا مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ» (الملوك الأول 11: 8-4).

عندما شاخ سليمان، ربما لم يعد يستطيع إشباع رغبة ألف امرأةٍ متعطشةٍ للجنس الحلال في أحضان زوجها العجوز فاضطر آسفًا إلى استدعاء آلهتهن من بلادهم البعيدة ليصرف انتباه زوجاته الألف عن التفكير في الأمور الحسية الجنسية، ليتوجهن بكل قلوبهن لعبادة آلهتهن الغريبة ولكن بإشرافٍ مباشرٍ من يهوه رب الأرباب وصاحب السيطرة الفعلية على باقي الآلهة، فالإيمان كما نعلم جميعًا وظيفته الأساسية هي القضاء على أي رغبةٍ بشريةٍ في المتع الدنيوية وتأجيلها إلى حين الحصول عليها هناك في العالم الآخر، إن صحت هذه النظرية فلنا أجران وحق السبق، وإن لم نكن على صوابٍ في اقتراحنا هذا فلنا شرف المحاولة.

وهكذا كفر سليمان النبي الملك الحكيم بسبب النساء اللاتي هن كما نعلم حبائل الشيطان، يا إلهي أيكفر سليمان الحكيم بالرب يهوه بعد كل ما فعله من أجله، أيكفر النبي الحكيم الذي أعطاه يهوه حكمةً تفوق حكمة كلكول ودردع، وإذا كفر أحكم أهل المشرق فكيف نؤمن نحن المجردين من الحكمة ومن الصلة المباشرة بالإله؟

ولكننا نستطيع أن ندعي أن سليمان ربما كان ينظر للأمر نظرة فيلسوفٍ حكيم، فماذا يضيره من إحضار آلهة زوجاته لتقيم عنده بإشرافٍ مباشرٍ من الرب يهوه الذي هو أعظم الآلهة، وربما نظر للأديان نظرة الملك «فريدريك الثاني» الذي كان يؤمن بأن الأديان كلها متساويةٌ في كونها لا تساوي شيئًا...! أو ربما حاول سليمان الحكيم أن يطبق الديمقراطية في مملكته فبدأ بتطبيق ديمقراطيةٍ دينيةٍ كبدايةٍ لتطبيقِ الديمقراطية السياسية.

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

على كلٍّ حاولنا جاهدين أن نجد مبررًا لهجران سليمان لربه يهوه، ولا يستطيع أحدٌ بعد ذلك أن يتهمنا بالتقصير في الدفاع عن موقف سليمان من ربه يهوه.

على كلٍ، كان لابد من عقابٍ من الرب يهوه لعبده المرتد سليمان فقال له:
«مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. إِلاَّ إِنِّي لاَ أَفْعَلُ ذلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا» (الملوك الأول 11: 12-11).

نلاحظ أن الإله التوراتي دائمًا ما يعاقب الشخص الخطأ، فحين يدعي إبراهيم أن سارة أخته يأخذها الفرعون المصري بحسن نيةٍ ويضمها إلى حريمه فيتجه غضب الرب إلى الفرعون المظلوم وليصيب الغضب الإلهي إبراهيم، ونفس الموقف يتكرر مع أبيمالك أيضًا، وعندما يزني داود مع بثشبع لا يعاقبه الرب بل يعاقب الطفل البريء الذي لم يولد أصلًا بالموت...! وكذا عندما يكفر سليمان يصب يهوه جام غضبه على ابنه البريء، أما نحن بعقولنا القاصرة فلا نملك أن نحكم على هذه التصرفات الخرقاء بأنها خرقاء بل نكتفي بالقول بأن الفكر البشري قد يعجز أحيانًا عن فهم التصرفات الإلهية التي هي بالتأكيد صائبة، فالآلهة لا تخطئ طبعًا.

ومن جهةٍ أخرى نجد أنه لولا هذه التصرفات الخرقاء المنسوبة للآلهة لما كان لوجود الكهنة مبرر، فوظيفة الكاهن الثانية- قلنا سابقًا أن وظيفته الأولى هي ابتزاز جماهير المؤمنين- هي إيجاد تبريراتٍ للأفعال غير المنطقية التي ترتكبها الآلهة، فلولا الكهنة لما وُجد أساسًا أمثال هؤلاء الآلهة في الفكر والضمير البشري.

وفي سبيل تنغيص شيخوخة سليمان الحكيم الكافرة، أقام له الرب العديد من الأعداء، كان أولهم السيد هدد الأدومي الذي فرّ من مذبحةٍ أقامها الملك داود لقومه وجاء إلى مصر:
«فَوَجَدَ هَدَدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ جِدًّا، وَزَوَّجَهُ أُخْتَ امْرَأَتِهِ، أُخْتَ تَحْفَنِيسَ الْمَلِكَةِ» (الملوك الأول 11: 19).
نلاحظ هنا أيضًا أن كاتب التوراة لا يذكر أيضًا اسم فرعون، في حين يذكر اسمًا أقل أهميةً وهو اسم تحفنيس الملكة- بالمناسبة لا توجد ملكةٌ فرعونيةٌ بهذا الاسم على الإطلاق- وعندما سمع هدد أن داود قد مات عاد إلى أرضه لمحاربة سليمان، وإذا أضفنا لمشكلة السيد هدد تمردًا آخر قام به المدعو رزون بن أليداع، وثورةً أخرى بقيادة يربعام عبد

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

سليمان الذي هدد يهوه سليمان بأن يعطي المملكة لعبده:

«وَطَلَبَ سُلَيْمَانُ قَتْلَ يَرُبْعَامَ، فَقَامَ يَرُبْعَامُ وَهَرَبَ إِلَى مِصْرَ إِلَى شِيشَقَ مَلِكِ مِصْرَ. وَكَانَ فِي مِصْرَ إِلَى وَفَاةِ سُلَيْمَانَ» (الملوك الأول 11: 40).

لقد أصبحت مصر ملجأً لكل أعداء سليمان مع أنه كان قد تزوج من ابنة ملك مصر كما تؤكد التوراة، وهو ما يؤكد لنا أن فلسطين في قمة مجدها كانت مجرد ولايةٍ خاضعةٍ للسيادة المصرية، أما شيشق الذي تذكُره التوراة لأول مرة، فهو على ما يبدو الملك شيشنق الليبي مؤسس الأسرة الثانية والعشرين التي انتزعت كرسي الفرعون من الكهنة الذين انتزعوه بدورهم من الرعامسة.

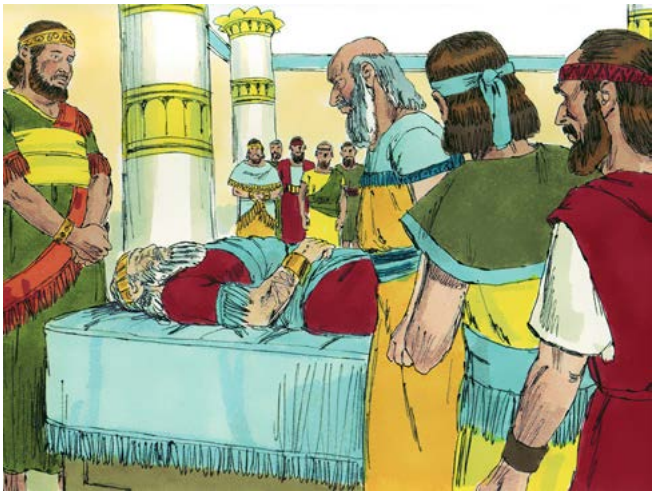

وأخيرًا آن لسليمان الحكيم أن يستريح من مشاكل أعدائه وأيضًا من واجباته الزوجية فيرحل في سلامٍ إلى العالم الآخر تاركًا لنا السؤال الحائر: هل مات سليمان وهو على دينٍ غير دين رب الجنود، أم أنه قد تاب على فراش الموت؟ إن كان قد تاب وتراجع عن ردته فهذا هو المعقول والمتوقع منه كنبي، أما إن كان الفرض الآخر -كما تخبرنا التوراة - إذن فنحن أمام مأزقٍ كهنوتيٍّ حرجٍ إذ كيف يمكن لنبي أن يموت على الكفر، فما بالك إذا كان هذا الملك قد أوتي الحكمة مع النبوة أيضًا إلى درجة أن حكمته قد فاقت حكمة كلكول ودردع شخصيًا، مما قد يدفع ببعض ضعاف النفوس إلى الظن الآثم بأن حكمة سليمان هي التي دفعته إلى الإيمان بتعدد الآلهة، وهناك بعدٌ آخر للمسألة وهو أن النبي سليمان ليس فقط أحكم أهل عصره بل هو الجد الأعظم للمسيح، فإذا كنا قد تغاضينا عن شرعية زواج أمه الفاضلة بثشبع من والده الطاهر داود، إلا أننا لا نستطيع تجاهل إتّهام التوراة له بالكفر والموت على اعتقادٍ خاطئ، فهذا المنبع لابد وأن يتسم بالطهر حتى يتسنى للمسيح عيسى أن يخرج من أكثر الينابيع طهارةً..!

وبموت سليمان ينتهي العصر الذهبي للدين والدولة اليهودية، وتبدأ المملكة في الانقسام ما بين رحبعام بن سليمان الوريث الشرعي للمملكة وبين يربعام الذي كان متمردًا على السلطة منذ عهد سليمان، ونكتشف من سياق الأحداث التوراتية المقدسة أن الشعب كان يعيش في كبتٍ تحت سلطة سليمان الحكيم، وأنه كان يئن من وطأة الضرائب التي كان يحملها له، فقد ذهب الشعب إلى رحبعام قائلين له:

«إِنَّ أَبَاكَ قَسَّى نِيرَنَا، وَأَمَّا أَنْتَ فَخَفِّفِ الآنَ مِنْ عُبُودِيَّةِ أَبِيكَ الْقَاسِيَةِ، وَمِنْ نِيرِهِ الثَّقِيلِ الَّذِي جَعَلَهُ عَلَيْنَا، فَنَخْدِمَكَ» (الملوك الأول 12: 4).

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

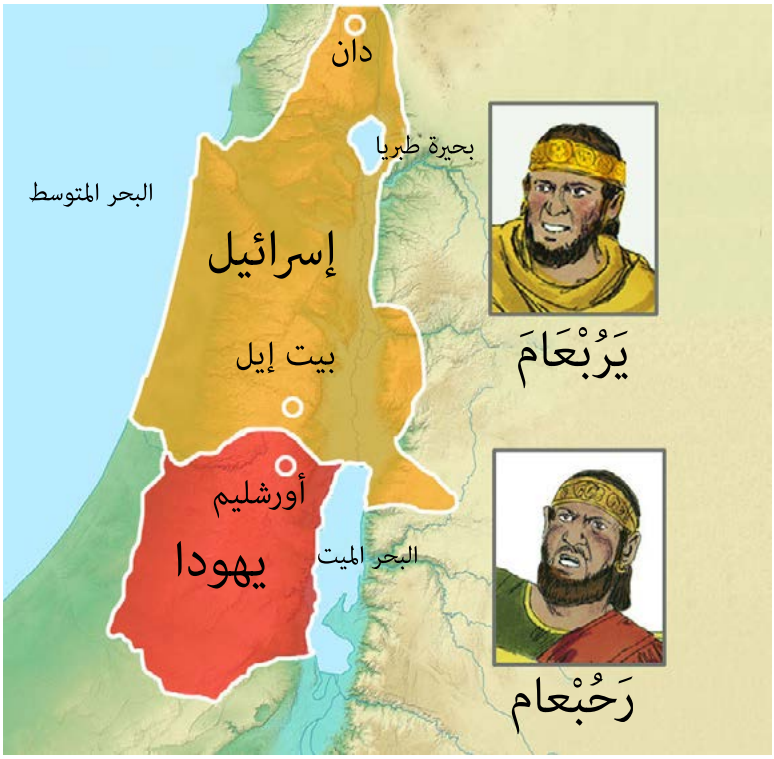

إذن فما إن وارى جثمان الملك الحكيم التراب حتى ذم فيه شعبه واشتكوا من ظلمه لهم وطلبوا من ابنه أن يخفف عنهم ظلم أبيه الراحل، ولكن الشاب المتهور يرفض إنصاف الشعب المقهور فينفض عنه، وبالتالي انقسمت المملكة إلى مملكتين، يهوذا في الجنوب والسامرة في الشمال، فتبع رحبعام بن سليمان سبطَيْ يهوذا وبنيامين وأقاموا عاصمةً لهم في أورشليم، بينما تجمعت باقي الأسباط في السامرة وتسمت باسم إسرائيل تحت قيادة يربعام عبد سليمان المتمرد، وبالطبع قامت الحروب بينهما، ويستغل شيشنق ملك مصر الليبي هذا النزاع ويصعد إلى أورشليم ويجرد هيكل سليمان من كل ما فيه من كنوز، ويبسط سيطرته على إسرائيل ثانيةً.

«وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْمَلِكِ رَحُبْعَامَ، صَعِدَ شِيشَقُ مَلِكُ مِصْرَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَخَذَ خَزَائِنَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَأَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ. وَأَخَذَ جَمِيعَ أَتْرَاسِ الذَّهَبِ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ» (الملوك الأول 14: 25).

ويدلنا هذا على مدى تهافت الدولة التي كان على رأسها حكيمنا سليمان، فهذه الإمبراطورية التي يحاول الكهنة إقناعنا بعظمتها كانت مجرد ولايةٍ خاضعةٍ لسلطة ملك مصر، وما كان سليمان في قمة مجده إلا مجرد والٍ على فلسطين تحت السيادة المصرية، وبموت سليمان تنهار المملكة تمامًا وكأنها لم تكن.

ولنا هنا وقفةٌ مع حكاية سليمان في الأديان السماوية، فاليهود يرون أنه أعظم الملوك وأحكم الحكماء كما سبق ورأينا، وبالطبع يوافق المسيحيون على مجمل التراث اليهودي لأن الديانة المسيحية هي امتدادٌ- حتى وإن كان غير شرعي- للديانة اليهودية، ولكن موقف الإسلام من هذه القصة يحمل بعض الغرابة، فسليمان في الفكر الإسلامي قد امتلك مُلكًا لم يحرزه أحدٌ من قبله ولا من بعده، هذا أولًا، وثانيًا أن سبب هذا الملك وهذه العظمة هو ببساطةٍ «العفاريت»...! نعم العفاريت كما يرى التراث الإسلامي هي التي أعطت لسليمان قواه الخارقة التي أخضع بها العالم، وبالإضافة للعفاريت السليمانية كانت هناك الطيور أيضًا التي كان سليمان يفهم لغتها...! وفوق العفاريت والطيور كانت هناك الريح التي تخضع لحكم النبي سليمان فيرسلها إلى حيث شاء...! فإذا ما رجعنا للتاريخ ووجدنا أن سليمان لم يستطع حتى أن يخضع دولة فلسطين بأكملها كما سبق ووضحنا، وحتى حين بدأت بعثات التنقيب المسيحية اليهودية تبحث في منطقة فلسطين فإنها اكتشفت اكتشافًا مذهلًا وهو أن مدينة أورشليم في القرن العاشر قبل الميلاد كانت مجرد قريةٍ صغيرةٍ لا تزيد

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

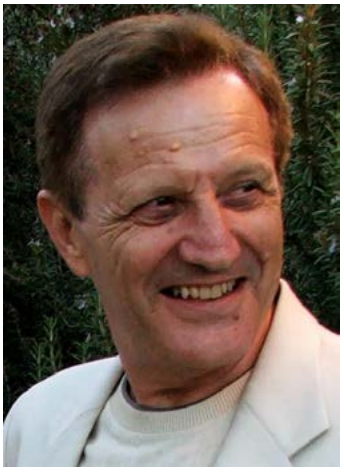

زئيف هرتزوغ

على أربع أو خمس هكتارات، أي أنها لا تسع سوى حوالي ألفي نسمةٍ على أقصى تقدير، وهو ما وضع الكهنة في مأزق، فكون العاصمة بأكملها لا تسع إلا ألفي نسمةٍ فهذا يعني أن سليمان في قمة مجده لم يكن أكثر من شيخ قبيلةٍ محليٍّ لا يتمتع بأي نفوذٍ خارجي، أما لماذا نقول أنه لا يتمتع بأي نفوذٍ خارجي، فلأننا لم نجد له أي ذكرٍ ولا مراسلاتٍ مع ملوك الدول المجاورة، بالإضافة إلي أننا لم نجد نقشًا واحدًا يحمل اسم أعظم ملوك الأرض قاطبةً، كما أن الدولة الإسرائيلية الحالية قد قامت ومنذ أكثر من خمسين عامًا بالتنقيب في كل شبرٍ من مدينة أورشليم للبحث عن بقايا الهيكل الجبار، ولكنهم للأسف لم يجدو شيئًا حتى الآن، وهو ما دفع بعالم آثارٍ إسرائيليٍّ شهيرٍ هو «زئيف هيرتزوغ» إلى التصريح بالقول:

«إن الحفريات المكثفة في أرض إسرائيل خلال القرن العشرين قد أوصلتنا إلى نتائج محبطة، كل شيءٍ مختلقٌ ونحن لم نعثر على أي شيءٍ يتفق والرواية التوراتية، كما أن قصص الآباء في سفر التكوين هي مجرد أساطيرٍ ونحن لم نهبط إلى مصر ولم نخرج منها. لم نتُه في صحراء سيناء ولم ندخل فلسطين بحملةٍ عسكريةٍ صاعقة. وأصعب هذه الأمور أن المملكة الموحدة لـ (داوود وسليمان) كانت في أفضل الأحوال إن وُجدت فهي مملكةٌ قبليةٌ صغيرة (مملكة المدينة). كما أن القلق سينتاب كل من يعرف أن يهوه إله إسرائيل كان متزوجًا من الإلهة الكنعانية عشيرة. وأن إسرائيل لم تتبنَّ عقيدة التوحيد على جبل سيناء وإنما في أواخر عهد ملوك يهوذا، أي حوالي (600 ق.م) ... أني أدرك باعتباري واحدًا من أبناء الشعب اليهودي وتلميذًا للمدرسة التوراتية، مدى الإحباط الناجم عن الهوة بين آمالنا وبين الواقع وإني لأحس بثقل هذا الاعتراف على كاهلي ولكني ملتزمٌ بالأخذ بعين الاعتبار ما توصل إليه زملائي من نقدٍ وتفسيرٍ جديدٍ للوقائع».

ونحن هنا أمام موقفٍ لا نُحسد عليه، يجعلنا نقع في صراعٍ بين معتقداتنا الدينية وبين معطياتنا التاريخية، ولأننا نؤمن بالعقل كما سبق وادعينا ونؤمن كذلك بالدين كما سبق وأكدنا، لذا فإننا نضع هذا التساؤل بكل براءةٍ أمام كهنة جميع الأديان: أفيدونا أفادكم الله.. أين سليمان الحكيم في وسط هذا اللغط المقدس، هل كان سليمان الحكيم ملكًا ونبيًا حاز على ملكٍ لم يحرزه أحدٌ من قبل ولا من بعد؟ أم أنه كان مجرد شيخ قبيلةٍ حقيرةٍ لم يلتفت إليها التاريخ لهوان شأنها؟ نعلم طبعًا أن الكهنة يعرفون الإجابة عن جميع الأسئلة حتى فيما ليس بواردٍ في توراةٍ أو إنجيل أو قرآن، وبالتالي فنحن لا نتوقع منهم الجواب الشافي، ومن هنا فنحن نضع تساؤلاتنا أمام العقول التي تبحث عن الحقيقة المجردة، ولا ندّعي أننا نعرف الجواب، بل بالأحرى ندعي بأننا من الباحثين عن الجواب...!

ونعود الآن إلى يربعام الذي أعطاه يهوه نصف مملكة سليمان لنجد أنه كان ناكرًا لجميل الرب، وكانت وجهة نظره أن عبادة العجل خيرٌ له ولشعبه من عبادة يهوه:

محمد شومان

اليهودية والمحروسة جـ 4

«وَعَمِلَ عِجْلَيْ ذَهَبٍ، وَقَالَ لَهُمْ: كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ» (الملوك الأول 12: 28).

وهكذا ارتد معظم الشعب لعبادة العجل المصري الشهير لنتأكد فقرةً بعد أخرى من أن التوحيد لم يعرف طريقه إلى عقل الشعب المختار في يومٍ من الأيام، مما يدفعنا إلى التساؤل عن سبب اصطفاء الشعب المختار...؟

السفر الخامس والعشرون: إيليا

في خلال نصف قرنٍ من انقسام المملكة السليمانية كان الشعب بأكمله تقريبًا قد ارتد عن العبادة اليهوية إلى عبادة آلهةٍ أخرى، ولأن يهوه كان قد اختار الشعب المختار ليكون هو قبلة الإيمان ومركز الرسالات، فيبدو أنه قد أساء الاختيار وندم على ذلك في قلبه، ولكنه لم يشأ أن يعلن ذلك على الملأ حتى لا يتهمه الملاحدة بالخرف، لذا فقد قرر يهوه إرسال نبيٍّ كبيرٍ لهداية شعبه الحبيب الذي فضّله بسفهٍ على العالمين، هذا النبي هو إيليا الشهير في التراث الديني بمعجزاته الغريبة والمتفردة.

وطفولة وشباب هذا النبي غير معروفةٍ لنا، وهي عادة معظم الأنبياء، إما أن تكون نشأتهم غامضةً أو أسطوريةً، ولنا في يسوع ومحمدٍ أسوةٌ حسنة، المهم أنه في حوالي سنة 875 قبل الميلاد ظهر النبي إيليا التشبي في السامرة عاصمة دولة إسرائيل التي كان يحكمها الملك آخاب الشهير زوج السيدة إيزابل الأشهر، وكان آخاب قد صاهر أتبعل ملك صيدون الوثني وتزوج من ابنته الوثنية إيزابيل، التي جاءت لمملكة إسرائيل ومعها آلهتها الوثنية وعلى رأسهم الإله الأكبر «بعل»، واقتداءً بسنة سلفه سليمان الحكيم لم يرَ آخاب مانعًا من إحضار الآلهة الغريبة لمملكته إرضاءً للسيدة الأولى، وهنا جاء دور النبي إيليا الذي وقف أمام الملك بكل شجاعةٍ معلنًا أن السماء لن تمطر حتى يسمح لها إيليا شخصيًا بذلك:

«وَقَالَ إِيلِيَّا التِّشْبِيُّ مِنْ مُسْتَوْطِنِي جِلْعَادَ لأَخْآبَ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي» (الملوك الأول 17: 1).

لا نملك أنفسنا من الإعجاب بشجاعة هذا النبي الذي يواجه الملك بشجاعةٍ ليعلن بأن إله إسرائيل مازال على قيد الحياة، وأنه يشعر بالغيرة من منافسه الإله بعل، وأنه أرسله شخصيًا ليبشر الملك المارق بالجدب، فالمطر لن يهطل على المملكة لمدة ثلاث سنواتٍ ونصف.

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

وبعد أن نقل إيليا هذا التهديد للملك أمره الرب بالاختباء:

«انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَاخْتَبِئْ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الأُرْدُنِّ، فَتَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ الْغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ» (الملوك الأول 17: 4-3).

أنبياء الله الصالحين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويصدّقون ربهم في كل ما يقوله لهم مهما كان شاذًا وبعيدًا عن المنطق، وهكذا انطلق إيليا إلى النهر مصدقًا كلمات ربه الذي لم يخلف وعده، فأرسل له بالفعل الغربان تحمل له وجبتين يوميًا، واحدةٌ في الصباح والأخرى في المساء، وكان الأكل عبارةً عن خبزٍ ولحم، أما الشرب فمن مياه النهر مباشرةً، يا لها من حياةٍ رغدةٍ عاشها رجل الله إيليا بمساعدة غربان الرب، قد يخطر ببال أحدهم أن يسأل إن كانت الغربان تسرق هذا الطعام أم كانت تُحضره من السماء، وهل كان الطعام يصل ساخنًا أم باردًا، وهل كانت تحمل قطع اللحم بين أسنانها أم أنه كان ملفوفًا في ورقٍ من الفويل، ولكن ما يهم في الموضوع أن رجل الله بمساعدة غربان الرب قد عاش عدة أشهرٍ على ضفاف النهر ولم يشعر بالجوع ولا بالعطش، ولكن الأيام الجميلة تمر سراعًا كما نعلم جميعًا، فبدأ النهر ييبس من قلة الأمطار، وبدأ رجل الله يشعر بالقلق، ولكن يهوه الرحيم لا ينسى رجاله، فأمرَه قائلًا:

«قُمِ اذْهَبْ إِلَى صِرْفَةَ الَّتِي لِصِيدُونَ وَأَقِمْ هُنَاكَ. هُوَذَا قَدْ أَمَرْتُ هُنَاكَ امْرَأَةً أَرْمَلَةً أَنْ تَعُولَكَ» (الملوك الأول 17: 9).

قد يتساءل ضعيفو الإيمان والملاحدة كيف يقبل رجلٌ بالغٌ عاقلٌ محترمٌ أن تعوله امرأة؟ ولكننا نفحمه بالقول بأن أنبياء الله ليسوا كباقي البشر، فلكي يتفرغ النبي للدعوة إلى الله فلابد وأن يعوله أحد، سواءٌ كان هذا الأحد غرابًا أو أرملةً، وبالمثل كهنة الأديان، فلكي يتفرغوا لدراسة حياة أنبياء الله فلابد لنا من إعالتهم، ليس معاذ الله لأنهم زائدون عن الحاجة ولا معنى لحياتهم، بل على العكس، لأن بتفرغهم للدرس يدركون ما غمض علينا من الرغبات الإلهية فيترجموها لأوامر منسوبةٍ للقوى العليا، وبالتالي يفتحون أمامنا أبواب الجنة، بارك الله فيهم ولهم وعليهم وجعلهم دومًا عالةً على الآخرين.

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

المهم أن نبينا المبجل قد عاش عالةً على هذه الأرملة وابنها الصغير لمدة شهورٍ إلى أن كافأها يهوه الرحيم بموت ابنها، وهو تصرفٌ حقيرٌ على أي مستوًى فكريٍّ أو أخلاقيٍّ أو حتى نفعي، وهنا انفجر غضب إيليا ووبخ الرب قائلًا:

«أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَأَيْضًا إِلَى الأَرْمَلَةِ الَّتِي أَنَا نَازِلٌ عِنْدَهَا قَدْ أَسَأْتَ بِإِمَاتَتِكَ ابْنَهَا؟» (الملوك الأول 17: 20).

لم تخبرنا التوراة للأسف عن الأخطاء السابقة التي وقع فيها يهوه حتى يصغر في عيني إيليا إلى هذا الحد، ويوبخه بأن أخطاءه قد زادت عن الحد حتى وصلت للأرملة التي تعوله، ولا يجد نبينا المبجل بدًا من إصلاح غلطة الرب الطائش فيعيد الحياة إلى الطفل مرةً أخرى، ليصبح أول من أحيا الموتى في التاريخ الديني الرسمي.

وبعد ثلاث سنواتٍ ونصفٍ من الجفاف تأتي اللحظة الحاسمة حيث يأمر يهوه رَجله بالذهاب إلى السامرة حتى يُظهر قوّته من خلاله، وبالفعل يذهب إيليا ليجد أن الشعب كله قد ارتد عن عبادة يهوه ولم يبق سواه كنبيٍّ للرب، فعرض على الشعب عرضًا عادلًا:

«أَنَا بَقِيتُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ وَحْدِي، وَأَنْبِيَاءُ الْبَعْلِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا. فَلْيُعْطُونَا ثَوْرَيْنِ، فَيَخْتَارُوا لأَنْفُسِهِمْ ثَوْرًا وَاحِدًا وَيُقَطِّعُوهُ وَيَضَعُوهُ عَلَى الْحَطَبِ، وَلكِنْ لاَ يَضَعُوا نَارًا. وَأَنَا أُقَرِّبُ الثَّوْرَ الآخَرَ وَأَجْعَلُهُ عَلَى الْحَطَبِ، وَلكِنْ لاَ أَضَعُ نَارًا. ثُمَّ تَدْعُونَ بِاسْمِ آلِهَتِكُمْ وَأَنَا أَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ. وَالإِلهُ الَّذِي يُجِيبُ بِنَارٍ فَهُوَ اللهُ. فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: الْكَلاَمُ حَسَنٌ» (الملوك الأول 18: 24-22).

وبالفعل تهبط نارٌ من السماء لتلحس ذبيحة إيليا، بينما يفشل أنبياء البعل في استدعاء نار بعلهم، رغم أنهم رقصوا بحرارةٍ من الصباح وحتى الظهيرة، وهنا انتقم منهم إيليا بمساعدة الشعب، فقتل الأربعمائة وخمسين

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

مجذوبًا هذا في ساعةٍ واحدة، مع أنهم كانوا يستحقون دخول دارٍ لمعالجة المعاقين ذهنيًا:

«فَقَالَ لَهُمْ إِيلِيَّا: أَمْسِكُوا أَنْبِيَاءَ الْبَعْلِ وَلاَ يُفْلِتْ مِنْهُمْ رَجُلٌ. فَأَمْسَكُوهُمْ، فَنَزَلَ بِهِمْ إِيلِيَّا إِلَى نَهْرِ قِيشُونَ وَذَبَحَهُمْ هُنَاكَ» (الملوك الأول 18: 40).

لن نقول أن ذبْح أربعمائةٍ وخمسين رجلًا إنما هو مذبحةٌ بمعنى الكلمة، ولن نقول أن هولاكو شخصيًا لم يذبح بيده الطاهرة أربعمائة وخمسين شخصًا، ولن نتعجب من قدرة رجلٍ واحدٍ على ذبح قطيعٍ بهذا الحجم في بضع ساعات، ولكننا سنقول أن رجلًا يذبح بيده هذا العدد من البشر يمتلك ولا بد قلبًا حديديًا، هذا إذا كان له هذا العضو أصلًا.

وهكذا أثبت إيليا شجاعته وجبروته أمام أنبياء البعل، ولكن السيدة الأولى إيزابل لما سمعت بما حدث أرسلت تهديدًا للنبي الجبار قائلةً:

«هكَذَا تَفْعَلُ الآلِهَةُ وَهكَذَا تَزِيدُ، إِنْ لَمْ أَجْعَلْ نَفْسَكَ كَنَفْسِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَحْوِ هذَا الْوَقْتِ غَدًا» (الملوك الأول 19: 2).

وكان هذا إنذارًا غبيًا من إيزابيل أن تمنحه يومًا كاملًا قبل أن تنتقم منه، وكان المنتظر من النبي الجبار صاحب القلب الحديدي واليد الدموية أن يبتسم في سخريةٍ من هذا التهديد الأجوف ويرد عليها قائلًا: الرب راعي فلا يخوّفني شيء، ولكن النبي الذي كان جبارًا منذ ساعاتٍ وقتل المئات في لحظة، إذا به يتحول إلى فأرٍ جبانٍ ويفر هاربًا من إيزابل، وينسى يهوه والشعب والرسالة ولا يفكر إلا في حياته...!

ولكن يهوه يتدخل ويموت الملك المارق وزوجته كذلك ويتولى ابنهما أخزيا عرش المملكة، وفي ذات يومٍ يمرض الملك الجديد فيرسل خمسين رجلًا لإحضار نبي الله ليشفيه، وبالفعل تذهب الكتيبة إلى الجبل إلى حيث يسكن رجل الله وينادي القائد قائلًا:

«يَا رَجُلَ اللهِ، الْمَلِكُ يَقُولُ انْزِلْ. فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لِرَئِيسِ الْخَمْسِينَ: إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ. فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ» (الملوك الثاني 1: 9).

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

يا للهول، خمسون قتيلًا لم يفعلوا شيئًا سوى أنهم رسل الملك للنبي، خمسون قتيلًا تحرقهم نار الرب لأن قائدهم ناداه قائلًا: يا رجل الله، خمسون قتيلًا ليثبت لهم أنه بالفعل رجل الله؟

ولكن الملك المريض لا ييأس فيرسل خمسين رجلًا آخرين ليقتلهم رجل الرب أيضًا، فيرسل خمسين رجلًا مرةً ثالثةً، فيذهب أخيرًا معهم نبينا المبجل بعد أن سجل إثمه في دفتر المعجزات اليهوية الوحشية.

وأخيرًا يقرر نبينا المبجل أن يرحل عن عالمنا بعد أن اختار نبيًا آخر ليخلفه، هو النبي الشهير «إليشع»، ولكن الرب يختار له نهايةً مختلفةً، فإيليا حيٌ لم يمت بل صعد إلى سماء الرب أمام عيني تلميذه:

«وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: يَا أَبِي، يَا أَبِي، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا» (الملوك الثاني 2: 12-11).

قد يتساءل ضعاف الإيمان والملاحدة عن كيفية ركوب النبي إيليا في مركبةٍ من نار، لكونها قد تحرق مؤخرته على الأقل، ولكننا نلجمهم بالقول بأن النار السماوية اليهوية قد تكون غير النار الأرضية التي نعرفها، أو ربما تحسّب يهوه لهذ الموقف فصنع لرَجله إيليا مؤخرةً لا تتأثر بالنيران.

وهكذا صعد إيليًا حيًا إلى سماء الرب مما دفع باليهود إلى الإيمان بعودته ثانيةٍ كمقدمةٍ للمسيح المخلّص، أي أن من علامات ظهور المسيح هي رجوع إيليا ثانيةً ليبشر بعودته.

«وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ. وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ» (متّى 17: 1-3).

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

السفر السادس والعشرون: النبي الأقرع

بصعود إيليا حيًا إلى السماء يخلو منصب النبي فيشغله خادمه إليشع، ويبدأ خدمته بمعجزةٍ عظيمةٍ وهي شق البحر مثله مثل موسى النبي، ويشفي المرضى مثل المسيح، ويعيش عالةً على امرأةٍ مثل أستاذه إيليا، ويتخذ خادمًا خصوصيًا يصبح خائنًا له مثل يهوذا هو جيحزي، وتستضيفه في منزلها العامر شابةٌ ثريةٌ متزوجةٌ من كهلٍ غير قادرٍ على الإنجاب، فيحاول أن يرد لها الجميل فيسألها قائلًا:

«قَدِ انْزَعَجْتِ بِسَبَبِنَا كُلَّ هذَا الانْزِعَاجِ، فَمَاذَا يُصْنَعُ لَكِ؟ هَلْ لَكِ مَا يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ أَوْ إِلَى رَئِيسِ الْجَيْشِ؟ فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَنَا سَاكِنَةٌ فِي وَسْطِ شَعْبِي. ثُمَّ قَالَ: فَمَاذَا يُصْنَعُ لَهَا؟ فَقَالَ جِيحْزِي: إِنَّهُ لَيْسَ لَهَا ابْنٌ، وَرَجُلُهَا قَدْ شَاخَ. فَقَالَ: ادْعُهَا. فَدَعَاهَا، فَوَقَفَتْ فِي الْبَابِ. فَقَالَ: فِي هذَا الْمِيعَادِ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ تَحْتَضِنِينَ ابْنًا. فَقَالَتْ: لاَ يَا سَيِّدِي رَجُلَ اللهِ. لاَ تَكْذِبْ عَلَى جَارِيَتِكَ. فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا فِي ذلِكَ الْمِيعَادِ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ، كَمَا قَالَ لَهَا أَلِيشَعُ» (الملوك الثاني 4: 13-17).

من الواضح طبعًا أن حرفة اقتراف المعجزات تجعل الساحر أو رَجل الله على صلةٍ مع الملك وقائد الجيش، إلى درجة أنه يستطيع أن يصدر لهما أي أمرٍ وما عليهما سوى التنفيذ، ولكن طلب المرأة الشابة كان أهون من ذلك فهي تريد فقط أن تنجب طفلًا ولا يستطيع رجلها أن يحقق لها هذه الأمنية بحكم السن، وهنا كان دور إليشع أن يهب لها طفلًا بكيفيةٍ لم ير الكاتب المقدس رغبةً في ذكرها، المهم أنها في العام التالي بالفعل كانت قد وضعت مولودها الأول بطريقةٍ لا يعلمها إلا الله وإليشع، أما لماذا وهب لها يهوه ابنًا، فالإجابة بسيطة، لكي يميته، نعم بعد أن كبر الطفل أماته يهوه بنذالةٍ تعودناها منه، وجاء إليشع ليعيد له الحياة مرةً أخرى ليتمجد اسم الرب يهوه، وتضاف معجزة إحياء الموتى إلى قائمة معجزات النبي إليشع.

ونبينا المبجل على ما يبدو لم يكن يتمتع بروح الدعابة، فذات يومٍ كان سائرًا في الطريق:

«وَفِيمَا هُوَ صَاعِدٌ فِي الطَّرِيقِ إِذَا بِصِبْيَانٍ صِغَارٍ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَسَخِرُوا مِنْهُ وَقَالُوا لَهُ: اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، فَخَرَجَتْ دُبَّتَانِ مِنَ الْوَعْرِ وَافْتَرَسَتَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَلَدًا» (الملوك الثاني 2: 23-24).

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

يا إلهي اثنان وأربعون طفلًا ماتوا لأنهم قالوا للنبي إليشع يا أقرع...؟ فإذا ما علمنا أنه كان فعلًا أقرع لازدادت دهشتنا من موقفه العجيب هذا، ولازدادت دهشتنا أكثر من تنفيذ الرب يهوه لهذه المجزرة المريعة بدون سبب، ولكن ربما كانت هناك حكمةٌ إلهيةٌ خافيةٌ علينا نحن السذّج من البشر المحرومين من معرفة الحكمة الإلهية وراء الأحداث الدنيوية، لذا فنرجوا من كهنتنا المعظمين أن يبوحوا لنا بالسر الكامن وراء هذا الموقف العبثي.

وبسبب هذه المعجزات العظيمة ذاع صيت النبي إليشع حتى وصل إلى سوريا العدوة التقليدية للمملكة الإسرائيلية، فجاء جيشٌ جرارٌ للقبض على النبي الأقرع خوفًا من معرفته المسبقة بخططهم الحربية، ولكن هذه الحملة فشلت فشلًا ذريعًا بمعجزةٍ يهويةٍ لطيفة، فبينما الجيش على أبواب المدينة، تجلت قدرة يهوه الجبار:

وأصاب العمى كل الجيش السوري الذي جاء ليهجم على النبي، «فَقَالَ لَهُمْ أَلِيشَعُ: لَيْسَتْ هذِهِ هِيَ الطَّرِيقَ، وَلاَ هذِهِ هِيَ الْمَدِينَةَ. اتْبَعُونِي فَأَسِيرَ بِكُمْ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي تُفَتِّشُونَ عَلَيْهِ» (الملوك الثاني 6: 19)، فسار بهم إلى أن أوصلهم إلى داخل العاصمة.

تخيل هداك الله أن جيشًا جبارًا قادمًا من سوريا ليقبض على المبجل الأقرع إليشع، ولكن قبل أن يصل إليه يصاب جميع الجنود والضباط بالعمى، ولأنهم جندٌ مطيعون لسيدهم وللأوامر العسكرية الصارمة، فإنهم لا يرجعون إلى ديارهم بعماهم فقط ولكنهم يصرون على إتمام مهمتهم المقدسة في القبض على الأقرع، فيتحسسون طريقهم وراء قائدهم ليسألوا عابري السبيل: (ما شفتش والنبي نبيًا أقرع اسمه إليشع علشان نقبض عليه؟)، وتكون المعجزة اليهوية العظيمة أن يسألوا إليشع نفسه عن مكان إليشع، فيتقدم

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

أقرعنا ببساطةٍ ويمسك بيد قائد الجيش الذي يمسك بيد مساعده، وهكذا يمسك آلاف الجنود كل واحد بيد رفيقه حتى يقودهم الدليل إلى مبتغاهم ليقبضوا عليه ثم يرجعوا بعماهم وأسيرهم إلى ديارهم سالمين غانمين منفذين تعليمات ملكهم...! إنها والله مهزلةٌ دينيةٌ تحت مسمى القداسة، شفانا الله وإياكم من معجزات الكتب المقدسة التي تؤدي إلى العته.

كل هذه المعجزات وغيرها لم تكن إبداعًا من نبينا الأقرع المبجل، ولكنه وللحق ينفرد بمعجزةٍ لم يسبقه إليها أحدٌ ولم تتكرر أيضًا على حسب علمنا في التاريخ الديني الرسمي، فقد حان أجل إليشع ومات ودُفن بعد أن قام بمعجزاتٍ جبارةٍ ولكنها على كل حالٍ كانت مكررةً بشكلٍ أو بآخر، وبعد موته قام بمعجزةٍ غير مسبوقةٍ ولا ملحوقة، فذات يومٍ كان اليهود في طريقهم لدفن أحد موتاهم، فإذا بهم يتعرضون لهجومٍ مباغتٍ من الأعداء، فما كان منهم إلا أن رموا الجثة وفروا هاربين:

«فَطَرَحُوا الرَّجُلَ فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ وَمَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ عَاشَ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ» (الملوك الأول 13: 21).

ولعل هذه المعجزة هي أعظم اختراعات كهنة جميع الأديان، فقد أحيت عظام النبي الأقرع جثة أحد الموتى الذي تصادف أن مست جثته عظام النبي المتوفى، والسؤال هو: لماذا لا يحاول الكهنة البحث عن جثة إليشع ليحيوا بها الموتى...؟ وهكذا نتبين أن معجزات إحياء الموتى ليست قاصرةً فقط على المسيح عيسى بن مريم، بل هي تراثٌ يهوديٌّ سار على هديه مسيحنا المبجل.

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

ويستمر يهوه في إرسال رسله المبجلين لشعبه المختار الذي يختار دائمًا آلهةً أخرى لإغاظة رب الجنود، وكانت رسله تُعدّ بالمئات، ولكنهم تمركزوا جميعًا في منطقة الشام، وكأن الله لم يخلق بشرًا يستحق الهداية إلا في هذه المنطقة، ورغم رفض اليهود لعبادة يهوه إلا أنه ظل على وفائه لشعبه المختار، ورغم خياناتهم المتكررة له إلا أنه ظل على وفائه لهم، فالحب كما نعرف جميعًا لا يخضع للمقاييس العقلية، ويستمر الصراع أيضًا بين المملكة الجنوبية والمملكة الشمالية إلى أن يحسم الجيش الآشوري بقيادة سرجون الأول المعارك الدائرة بين الفريقين باستيلائه على السامرة وسبي شعبها إلى آشور سنة 722 ق. م، ولكن مصر الصاعدة من كبوتها تحت قيادة فرعون مصر نخاو لا تترك مستعمرتها السابقة بسهولة، فيذهب الفرعون بالجيش المصري ويسترد فلسطين ثانيةً بعد أن يهزم ملكها النبي يوشيا في سهل مجدو سنة 609 ق.م، ويموت النبي يوشيا من جراء جروحه في المعركة الكبرى ويعيّن الشعب ابنه يهوحاز ملكًا مكانه، ولكن فرعون مصر يرفض ذلك ويستدعي ملك إسرائيل إلى مصر مكبلًا بالحديد حيث يموت بها، ويعيّن أخاه مكانه بعد أن يتعهد بدفع الجزية لمصر، ولكن الإمبراطورية البابلية الصاعدة لا تسمح لمصر بامتلاك فلسطين، فيصعد نبوخذ نصر لمحاربة نخاو وينتصر عليه سنة 605 ق.م ويسترد منه فلسطين ثانيةً، وبذلك تنتهي للأبد السيادة المصرية على فلسطين، ولا يبقى بعد ذلك سوى تحريض (أبريس) فرعون مصر ل(صدقيا) ملك إسرائيل بشق عصا الطاعة على بابل رغم معارضة النبي أرميا، الذي كان يعرف بضعف مصر، وهو ما حدث بالفعل حيث اكتسح الجيش البابلي بقيادة نبوخذ نصر بيت المقدس سنة 586 ق.م، وأسر ملكها صدقيا وقتل ولديه أمام عينيه قبل أن يفقأهما له، ويدمر المعبد الشهير ويحرقه مع قصر سليمان الحكيم، أما باقي الشعب فيأخذهم معه إلى بابل حيث عاشوا ما يسمى بالسبي البابلي الذي هو عقدة اليهود على مدار التاريخ وإلى يومنا هذا.

ولكن هل يترك يهوه الجبار نبوخذ نصر البابلي يسبي شعبه بدون عقاب...؟ فلندعُ نبوخذ نصر نفسه يخبرنا بعقاب يهوه له من مذكراته الشخصية التي يوردها لنا الكتاب المقدس نفسه في سفر دانيال:

«فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَمَّ الأَمْرُ عَلَى نَبُوخَذْنَصَّرَ، فَطُرِدَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، وَأَكَلَ الْعُشْبَ كَالثِّيرَانِ، وَابْتَلَّ جِسْمُهُ بِنَدَى السَّمَاءِ حَتَّى طَالَ شَعْرُهُ مِثْلَ النُّسُورِ، وَأَظْفَارُهُ مِثْلَ الطُّيُورِ. وَعِنْدَ انْتِهَاءِ الأَيَّامِ، أَنَا نَبُوخَذْنَصَّرُ، رَفَعْتُ عَيْنَيَّ إِلَى السَّمَاءِ، فَرَجَعَ إِلَيَّ عَقْلِي، وَبَارَكْتُ الْعَلِيَّ وَسَبَّحْتُ وَحَمَدْتُ الْحَيَّ إِلَى الأَبَدِ» (دانيال 4: 34-33).

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

ونحن بدورنا لا نشكك في صدق الكتاب المقدس، ولا حتى في صدق مذكرات نبوخذ نصر، بل نشكك في معطياتنا التاريخية التي لم تذكر لنا أن نبوخذ نصر قد ترك كرسي العرش لمدة سبع سنواتٍ وعاش مع حيوانات البرية في الصحراء يأكل العشب، وللأسف لم يذكر لنا المؤلف المقدس كيف عاد إلى عرشه ثانيةً بعد هذه السنين الطوال، ولم يذكر لنا كيف استقبله شعبه ولا حتى ذكر لنا من كان يدير المملكة المترامية الأطراف إبان وجود ملكها مع الحيوانات في الغابة...؟ على كلّ، هذا تفصيلٌ ثانويٌ لم يرَ المؤلف المقدس داعيًا لذكره، ولكننا نشكر الرب على أننا من عباده المخلصين الذين نطمع في كرمه ورحمته حتى لا يجعلنا مثل حيوانات البريّة...!

أما ما يهمنا في فترة السبي هذه فهو اليأس العام الذي خيّم على شعب الله المختار، مما دفعه إلى ابتداع فكرة المخلص، أي ذلك البطل الأسطوري الذي سيظهر ليخلص شعبه من ظلم الأعداء الكفرة- هذا المخلّص ظهر في الفكر المسيحي تحت اسم يسوع، وفي الفكر الإسلامي أيضا باسم المهدي المنتظر، وفي الفكر العالمي تحت اسم جودو- ولأن داود النبي كان أعظم حكام إسرائيل وكان الحلم الذهبي للدين وللدولة اليهودية، لذا كان من المنطقي أن ينتظر اليهود رجلًا من نسله ليعيد إليهم العزة والكرامة التي فقدوها في الأسر البابلي.

وبالإضافة لعقيدة المخلّص ظهرت أيضًا لأول مرةٍ في الفكر اليهودي عقيدة الإيمان بالعالم الآخر، وهذه بدورها مترتبةٌ على يأس الشعب من الحصول على الجنة هاهنا على الأرض ومن ثم جعلوها في عالمٍ آخر مفارق، أو ربما أنهم تأثروا بالعقيدة الفارسية التي كانت تؤمن بفردوس هناك في العالم الآخر- وكلمة فرودوس كلمةٌ فارسيةٌ بمعنى حديقةٌ أو بستان- وربما ظهرت الجنة في العقيدة اليهودية في محاولةٍ لاستقطاب قورش الفارسي الذي دعوه في الكتاب المقدس باسم «مسيح الرب» إلى الديانة اليهودية ليترك إلهه «بعل»، خاصةً بعد أن وضّح له النبي دانيال أن بعل لا يأكل ولا يشرب كما كان يعتقد الملك الأبله.

وفي فترة اليأس البابلي هذه يظهر نبيٌ مبجلٌ في الفكر اليهودي/ المسيحي ألا وهو النبي «حزقيال» الذي يُعد واحدًا من الأنبياء الكبار عند اليهود، وهو في رأينا الشخصي مبدعٌ أتى بما لم يأتِ به الأوائل ولا الأواخر، ويتمثل إبداعه في نظرنا في كونه كان يأكل أكلًا فريدًا من نوعه عند البشر ألا وهو «الخراء»، نعم كان النبي حزقيال عليه السلام يأكل الخراء تنفيذًا لوصية الرب يهوه القائلة في كتابه المقدس بالحرف:

«وَتَأْكُلُ كَعْكًا مِنَ الشَّعِيرِ. عَلَى الْخُرْءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ» (حزقيال 4: 12).

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

خبزٌ أميركيٌ مصنوع بحسب آية 4:9 من حزقيال و 1:29 من سفر التكوين

نعلم طبعًا أن هناك الكثير من الملاحدة ضعاف الإيمان الذين قد يتأففون من أكل الخراء الإنساني حتى لو أمرهم ربهم بهذا، ولكن الإيمان نعمةٌ لا تعطى لكل البشر، وهكذا رضي الرب يهوه على عبده حزقيال وكافأه على طاعته له بأكل الخراء الإنساني بأن غيّر له من صنف الطعام فقال له في كتابه المقدس:

«قَدْ جَعَلْتُ لَكَ خِثْيَ الْبَقَرِ بَدَلَ خُرْءِ الإِنْسَانِ» (حزقيال 4: 15).

ونحن بدورنا ننظر بإكبارٍ وانبهارٍ لأنبياء الله العظام الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وفي سنة 538 ق.م خضعت بابل لسلطان الملك قورش الفارسي ربما بمساعدةٍ من اليهود المسبيين، مما دفع بقورش إلى السماح لهم بالعودة ثانيةً إلى أرض الميعاد الرباني بقيادة النبيين عزرا ونحميا وذلك في سنة 516 ق.م، بعد أن قضى اليهود في السبي حوالي سبعين عامًا، وعندما رجع الشعب إلى الوطن ثانيةً بدأت حركة إصلاحٍ دينيٍّ بزعامة عزرا الكاتب الذي يُعتقد أنه كتب التوراة في هذه الفترة أو وجدها في التابوت على حسب ادعائه، وفي سنة 536 ق.م أمر مسيح الرب قورش بإعادة بناء الهيكل- ثانيةً- الذي كان نبوخذ نصر قد دمره سابقًا، وظلت إسرائيل تتمتع بنوعٍ من الحكم الذاتي تحت السيطرة الفارسية إلى أن جاءها الإسكندر الأكبر سنة331 ق.م واستولي عليها وضمها إلى إمبراطوريته، وفي فترة حكم خلفاء الإسكندر قامت الثورة المكابية نسبةً ليهوذا المكابي أي مختار يهوه- الذين كانوا من سبط لاوي، أي فرع الكهنة في العائلة اليهودية وسعوا إلى امتلاك السلطة السياسية أيضًا، ونجحوا بالفعل في امتلاكها لبعض الوقت إلى أن جاء «بومبي» الروماني سنة 63 ق.م ، ووضع الدولة المشاغبة تحت الحكم الروماني التي ظلت تحته إلى عصر الميلاد.

يافطة شارع الملك قورش في تل أبيب

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

السفر السابع والعشرون: خاتمة

والآن لنجمل ما فصلناه من علاقةٍ بين المحروسة واليهودية:

أول احتكاكٍ بين المحروسة واليهودية كان على يد إبراهيم النبي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، حيث حدث جوعٌ في الأرض ولم يجد النبي المبجل موطنًا يحميه من المجاعة فجاء إلينا، فأطعمناه من جوعٍ وأمّناه من خوف، على الرغم من حقارة تصرفاته ومتاجرته بشرفه وشرف زوجته التي تركها لفرعون مصر بعد أن خدعه بخسةٍ وأوهمه أنها أخته وليست زوجته، فلما قضى منها فرعون وطرًا وعلم أنها زوجته، ردها إليه معززةً مكرمةً ومعها جاريةٌ أيضًا، وهكذا خرج أبرام الطاهر من مصر وهو يحمل ثروةً كبيرةً من عطايا فرعون مصر الذي تصرف معه بكل رجولةٍ وشهامة، وإن كان هذا لا يمنع من أن يكون الفرعون قد كوّن في عقله فكرةً سيئةً عن أخلاقيات أنبياء يهوه.

أما الجارية التي أعطاها فرعون لأبرام فقد أصبحت أُمًا لإسماعيل الذي يقال لنا أنه أبو العرب المستعربة، ولم يصلنا لحسن الحظ ما يشين أخلاقيات هذه الجارية، فهي وإن كانت جاريةً إلا أنها تتمتع بالشرف الذي لم تكن تتمتع به السيدة الحرة.

هذا عن العطايا المادية، أما بالنسبة للعطايا الفكرية فربما يكون أبرام قد تأثر بأفكار المصريين الدينية التي كانت متقدمةً للغاية منذ بداية التاريخ المدون، ولكن الأكيد أنه قد تعلّم طقوس النظافة من مصر وكذا عادة الختان التي نسبها فيما بعد إلى يهوه إلهه في حين أنها طقسٌ مصريٌ تاريخي.

يوسف ويعقوب في مصر، بريشة پونتورمو

وبعده يأتي إلى مصر الفرعونية المقدس يوسف الوسيم، الذي جاء إلينا كعبدٍ حقيرٍ مباعًا بثمنٍ بخس، ليصبح بطريقةٍ ما وزير زراعة حكومة فرعون، أو ربما- كما يرى البعض- قد أصبح هو نفسه فرعونًا، وتكون فترة تسلطه أو حكمه في مصر نموذجًا للدناءة والخسة السياسية والأخلاقية التي تعافها حتى الحيوانات القذرة، إلى درجة أنه في نهاية حكمه كان قد اشترى من المصريين أراضيهم

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

ومواشيهم وأخيرًا أنفسهم لصالح فرعون البلاد، في مقابل إعطائهم حفنة قمح، في سابقةٍ تاريخيةٍ تُعد الأولى من نوعها في التاريخ المدون، وهي تجربةٌ لا نرى فيها نحن للأسف أي عبقريةٍ فكريةٍ ولا إلهامًا ربانيًا، بل نرى فيها انحطاطًا أخلاقيًا ناتجًا عن تدبيرٍ شيطاني.

وفي النهاية يستدعي يوسف أباه يعقوب وباقي إخوته لينعموا بالأمن والأمان في مصرنا المحروسة في ظل حكم يوسف الصديق، ورغم أنه كان في السلطة إلا أنه لم يستطع أن يجعل أباه ولا إخوته يتناولون الطعام مع أحقر خادمٍ في قصره، فاليهودي كان في ذلك الوقت مدنسًا من وجهة نظر المصري، سواءٌ من ناحية الدين الذي كان يُعد دينًا أقل في القيمة الخلقية والفكرية، أو حتى من حيث التاريخ إذ لا توجد مقارنةٌ أصلًا بين الحضارة المصرية والحضارة اليهودية، بل لعلنا لا نبالغ لو قلنا أنه لم يكن لليهود إبداعٌ فكريٌّ من الأساس، ولا نستثني من هذا الحكم حتى الكتاب المقدس العبري.

وبموت يوسف ينقلب الشعب على النسل المدنس ويحولهم إلى عبيدٍ لنا لعدة مئاتٍ من السنين، ربما انتقامًا لما فعله يوسف بالمصريين في فترة تسلطه عليهم، إلى أن يظهر على مسرح الأحداث مجرمٌ قاتلٌ من وجهة النظر المصرية، ونبيٌّ عظيمٌ من وجهة النظر اليهودية، وهو موسى النبي كليم الله وقاتل المصري المسكين، ويأخذ موسى العبيد ويخرج بهم مطرودًا من أرض المحروسة، إما بسبب الخيانة السياسية، وإما بسبب إصابتهم بالجذام وبعض الأمراض الجلدية المعدية الأخرى، ولا ينسى النبي المبجل في رحلة خروجه الشهيرة أن يسرق من المصريين ذهبهم وفضتهم بأمرٍ من الرب يهوه شخصيًا.

وبقيام المملكة في إسرائيل يقوم الفرعون المصري بدعم النبي العبراني سليمان الملقب بالحكيم وذلك بأن يزوجه بابنته كنوعٍ من الدعم المعنوي والأدبي له أمام شعبه، ثم يقوم بإحراق مدينة جازر وتسليمها للنبي الملك الحكيم ليتمكن

المزدري
الثمن الذي دفعته لتركي الإسلام
وليد الحسيني

الكتاب وثيقة مهمة يروي فيها وليد الحسيني قصة المعاناة التي مر بها من جراء تركه للإسلام وجهره بذلك، بدءًا من تساؤلاتٍ نمر بها كلنا إلى نقده الساخر للدين، فسجنه وتعرضه للتعذيب وانتهاءً بلجوئه إلى فرنسا حيث لا زال يعمل بدأبٍ في مشروعه الفكري.
ظهر كتابه «المزدري» بالفرنسية تحت عنوان Blasphémateur ومؤخرًا تمت ترجمته إلى الإنجليزية بعنوان Blasphemer، وهو مترجمٌ أيضًا إلى البولندية والدنماركية. النسخة الإنجليزية موجودةٌ على متجر أمازون
Amazon.com

اليهودية والمحروسة جـ 4

من فرض سيطرته عليها، ويرد النبي الحكيم الجميل لمصر بأن يسرق منها أقوال الحكيم المصري «أمينموبي» وينسبها لنفسه في صفاقةٍ يُحسد عليها، فيرد الفرعون المصري هذه التحية بأحسن منها، فيصعد بجيشه إلى أورشليم ويجرد الهيكل من كنوزه ويفرض سيطرته ثانيةً على فلسطين.

وظلت فلسطين على الدوام خاضعةً فكريًا وعسكريًا لمصر، فإذا حاول أحد ملوكها أو أنبيائها أن يتمرد على السيادة المصرية، فسيكون مصيره إما القتل أو إحضاره إلى مصر مكبلًا بالحديد كأي مجرمٍ حقير، إلى أن جاء نبوخذ نصر البابلي واستولى عليها من الفرعون المصري نخاو، لتفقد بذلك مصر سيطرتها على فلسطين للأبد.

ويحق لنا الآن أن نتساءل عن السبب الذي كان وراء رفض المصري القديم للديانة اليهودية! ومن وجهة نظرنا نرى أن السبب يرجع إلى أن المصري القديم كان يمتلك منظومةً فكريةً دينيةً أرقى بمراحل من منظومة اليهود الدينية، وثانيًا أن الدين المصري كان يَعِد المؤمنين بآخرةٍ سماويةٍ يلاقي فيها جزاء ما قدّمت يداه في الدنيا، وهو ما حرمته منه الديانة اليهودية، ثالثًا أن الديانة اليهودية نفسها ما هي إلا ابتسارٌ للديانة التوحيدية الأخناتونية التي نعتقد أنها أرقى من الديانة اليهودية، ورابعًا أن اليهودية ديانةٌ غير تبشيريةٍ بمعنى أنها لا ترحب بانضمام الأغيار إليها على عكس المسيحية والإسلام، خامسًا أن السلوك الخلقي لأنبياء العهد القديم كما شاهده المصريون لم يكن ليشجعهم على الانضواء تحت لوائهم، وأخيرًا فإن المنتصر هو الذي يفرض ثقافته دائمًا على المهزوم، والمصري الفرعوني كان على الدوام أقوى من اليهودي كمنظومةٍ خلقيةٍ وأيضًا كتاريخٍ حضاري، ولعل رأي الفرعون المصري في النبي موسى هو خير تعبيرٍ عن رؤية المصري الفرعوني لليهودي العبراني، فقد قال فرعون في القرآن كتاب المسلمين المقدس مشيرًا إلى النبي موسى:

﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ...؟﴾ (الزخرف: 51-52).

ونعود من مصر الفرعونية إلى فلسطين في عصر الميلاد حيث كانت هناك عدة طوائف مؤثرةٍ في الحياة الفكرية اليهودية، وأول هذه الطوائف هم الصدوقيون

اليهودية والمحروسة جـ 4

محمد شومان

أي أتباع صادوق الذي كان كبير الكهنة على عهد النبي سليمان، وكانوا أقليةً في العدد إلا أنهم أصحاب ثراءٍ ونفوذٍ كبيرٍ في المجتمع بسبب موالاتهم للرومان، وفي مسألة الدين فقد كانوا على مذهب أبيقور الداعي إلى التمتع بطيبات الحياة واعتبار اللذة هي غاية الحياة، وينكرون البعث والحياة الآخرة وينتظرون المخلّص من سلالة داود الذي سيعيد لهم المجد ويجعل أورشليم عاصمةً له، وإليهم كانت تصل الضرائب المفروضة على الشعب اليهودي في كل مكانٍ بالإضافة إلى نصيبهم من الذبائح والعشور، وهناك أيضًا طائفة الفريسيين أو المفروزين أي المميزين لتمسّكهم بالشريعة الموسوية ، وكانوا أكثريةً في العدد وإن لم يكن منهم أثرياء كثيرون، وهم أقرب إلى تحكيم العقل في مسائل الشرع من الصدوقيين ويؤمنون بالبعث والحساب والعقاب، وينتظرون نبيًّا مخلِّصًا يُسمى المسيح، وهناك أيضًا بعض الطوائف الهامشية الأخرى مثل الإسّينيين والسامريين والنذريين والذين كانوا أيضًا في انتظار المخلّص.

بولس يعظ اليهود في كنيس في دمشق، فسيفساء بيزنطية، القرن 12

وهكذا ظلت النبوءات تتواتر بقرب ظهور المسيح المخلّص الفادي الذي سيأتي من سبط يهوذا ويُعيد للدولة أمجادها المسلوبة، والواقع أن معظم التنبؤات كانت تنتظر ملكًا قويًا يقود الشعب إلى الانتصارات الحربية، غير أنه كانت هناك بعض النبوءات التي تشير إلى رجل أوجاع يحمل ذنوب الشعب ويقدّم نفسه ذبيحةً للرب كما الخروف، وظل هذا الأمل يداعب عقول أو قلوب اليهود إلى أن جاء القائد تيطوس ابن الإمبراطور فسباسيان ودمر الهيكل تمامًا لآخر مرةٍ في التاريخ وذلك حوالي سنة 70 بعد الميلاد، ويقتل أيضًا حوالي مليون يهودي ويشرد باقي الشعب في بلاد الأرض، لينهار الأمل تمامًا في قلوب شعب الله المختار ويكاد ينتهي ذكرهم من التاريخ، لولا أن ظهرت شيعةٌ يهوديةٌ منشقةٌ ظلت وفيةً لأصداء العهد القديم لأنها اعتبرت نفسها امتدادًا شرعيًّا لها رغمًا عن أنف اليهود أصحاب الشأن أنفسهم، هذه الشيعة التي قُدّر لها الانتصار على رب الجنود وإزاحته من على كرسي عرشه هي المسيحية التي وضعت المسيح عيسى بن مريم إلهًا جديدًا محل يهوه رب الجنود في انقلابٍ سلميٍّ على السلطة الإلهية اليهوية، وهكذا تبدأ مرحلةٌ جديدةٌ في المسيرة الدينية البشرية بانكسار الدين اليهودي أمام العبقرية الكهنوتية لبولس رسول الأمم، ويبدأ اليهود في اجترار أحلام الماضي السعيد وذكرى الأيام الخوالي والدخول في صراعٍ محسومٍ مقدمًا مع كهنة المسيحية المنشقين على الديانة اليهوية، وتستعير المسيحية أجنحة اليهود لتحلّق بها بعيدًا في سماء الرب، في حين تنكسر أجنحة اليهود منذ الانشقاق العظيم في مجمع أورشليم سنة 50 م، وهنا نكون قد دخلنا إلى عصر المسيحية وسيادة بولس، فلنطوي إذًا صفحة يهوه وكهنته ونتطلع بأملٍ إلى صفحة يسوع وكهنته.

قناة جسور | Bridges.TV

قناة جسور هي منبرٌ لمن لا منبر له، وقناةٌ لحرية التعبير والتواصل والتعايش مع المختلف ولتلاقح الأفكار بصورةٍ حضارية.. صوتك مقبول هنا مهما كان.

عنوان القناة على اليوتيوب:

https://www.youtube.com/channel/UChuvYgfSwGXkLtZYmSGcAeQ

صفحة جسور على الفيسبوك:

https://www.facebook.com/Bridgestv2

انضموا إلينا في مجموعة جمهورية الردة:

https://www.facebook.com/groups/186192008960773/

إيميل القناة:

bridgestv1@gmail.com

للتواصل عبر سكايب:

Bridgestv1

لدعم القناة على الPayPal:

https://www.paypal.me/SalBridgesTV

الانبثاق

Moussa Eightyzz

(وما قدروا المادة حقّ قدرها)

هل يمكن للكيمياء أن تصنع حياةً ومشاعر؟

وهل المادة الصماء قابلةٌ لأن يكون لها وعيٌّ وإرادة؟

وكيف يستطيع الملحد المادي أن يتحدث عن القيم والمعاني والأخلاق؟

Moussa Eightyzz

هذه الأسئلة- وشبيهاتها- تُطرح بشكلٍ استنكاريٍ من قِبل المؤمنين، والذين يزعمون أن الحياة والوعي والقيم والأخلاق يستحيل أن تنبع من المادة، ولا تُفسَّر بالعلم، ولا يمكن تفسير تلك الأمور إلا بافتراض عاملٍ روحانيٍّ خارجي: الله.

الخطأ الأول هنا هو افتراض أن الغيبيات تفسّر شيئًا، بينما جوهر التفسير نفسه يقوم على الدقة في الفهم والربط بين أمورٍ يمكن فحصها، بما لا ينطبق على الغيبيات التي تقوم على الجهل لا أكثر.

فحين تقول - مثلًا- أن الكيمياء لا تفسّر ظاهرة الحياة، وبالتالي تفترض وجود ما يسمى «الروح»، فالواجب عليك إذن أن تخبرنا - بدقة- ما هو تعريف الروح؟ وما مكوناتها وما خصائصها؟ وكيف تعمل؟ ثم تشرح لنا -بالتفصيل والبرهان- كيف يمكن لتلك الروح المزعومة أن تخلق ظاهرة الحياة؟ فإن لم تفعل فما فسّرت شيئًا وما أضفت لنا سوى كلمةٍ أخرى غامضةٍ تزيد الطين بلّةً، في حالةٍ كلاسيكيةٍ من مغالطة «إله الفجوات».

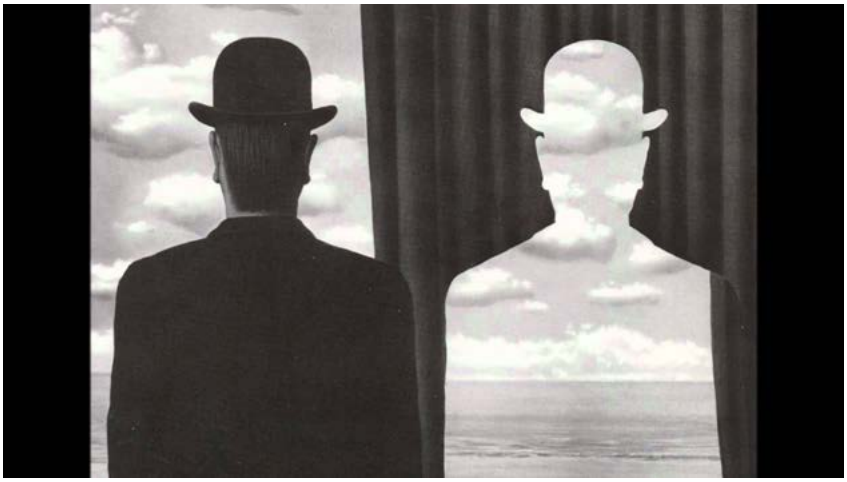

و**الخطأ الثاني** هنا هو افتراضٌ مسبقٌ بأن المادة لا تُنتج الأمور المعنوية؛ ولا أدري كيف عرفت أنت ما الذي لا يمكن للمادة أن تفعله؟!
هذا الفرض يقوم على تصورٍ خاطئٍ وبدائيٍّ ثنوي dualist (أي يتصور فصلًا وهميًا بين الروحي والمادي)، يتخيل أن المادة هي عبارةٌ عن كُراتٍ صماء، لابد لها من نفخةٍ روحيةٍ لكي تكتسب خصائص الحياة والوعي.

ولكنّنا اليوم صرنا نعرف ما هو أفضل؛ فالمادة - والتي هي صورةٌ من صور الطاقة، وترتبط بالمجالات- يمكنها أن تُنتِج ظواهر تبدوا معنويةً تمامًا، كالحياة والمشاعر والأخلاق.

وليس الهدف من المنشور الإجابة المفصلة عن أسئلة «كيف يحدث هذا؟»، فهذه تُحال للمختصين في كل مجال، وهي مجالاتٌ مفتوحةٌ لمن يبحث؛ مع ملاحظة أن الإجابات المتاحة ليست بالضرورة كاملةً أو قاطعةً، سواءً عند أهل العلوم (حيث نجد المعارف الناقصة والمحاولات المفتوحة المستمرة) ولا هي كاملةً وقاطعةً عند أهل الأديان (حيث نجد الجهل الكامل، والرضا - بل التمسك العنيد- بهذا الجهل).

وإنما الهدف المهم هنا هو مجرد الإشارة إلى إمكانية إنتاج الأمور المعنوية من المادة، من خلال تناول ظاهرةٍ طبيعيةٍ معروفةٍ وشائعةٍ تحكي لنا الكثير عن خصائص المادة التي يتكون منها الكون الذي نعيش فيه.

Moussa Eightyzz

الانبثاق

الانبثاق (من ويكيبيديا) هو اكتساب الكيان لخصائص جديدةٍ لم تكن موجودةً في أيٍّ من مكوناته الأصلية منفردةً... تلك الخصائص لا تأتي من أيٍّ من مكونات الكيان، وإنما بالأحرى من ترتيب تلك المكونات وتكاملها معًا بشكلٍ محدد.

لننظر إلى الماء على سبيل المثال، فهو مكونٌ من الهيدروجين (ذرتين) والأكسجين (ذرةٍ واحدة)، وبينما كلٌ منهما هو غازٌ يساعد على الاحتراق، إلا أن اتحادهما ينتج لنا سائلًا يطفئ النار.

ثم إن هذا المنتج الجديد (الماء) يمتلك خصائص جديدةً مشوقةً غير موجودةٍ في مكوناته: منها مثلًا خاصية التماسك والالتصاق (التي ينتج عنها التوتر السطحي)، ومنها خاصية الاحتفاظ بالحرارة والتخلص منها ببطء، وخاصية الإذابة.

ثم نلاحظ أن تغيّر درجة حرارة المواد يغيّر من خصائصها، فتكتسب وتفقد مميزاتٍ جديدة، فالماء حين تزداد حرارته يتحول إلى بخارٍ فاقدًا خصائص السيولة والانكسار الضوئي المميزة للماء السائل، وفي حالة الغليان قد يبدأ بإصدار ظاهرةٍ جديدةٍ أخرى وهي الصوت (من الفقاقيع)، وأما لو ازدادت برودته فسيتحول إلى جليدٍ صلبٍ وحينها سيكتسب خصائص مثل الجمود والعتامة والتي لم تكن موجودةً من قبل في الغاز والسائل المائعين والشفافين.

هذا الاكتساب والفقد لعناصر جديدةٍ لم يأتِ من أي إضافةٍ خارجيةٍ للماء، وإنما فقط من إعادة ترتيب نفس الجزيئات بشكلٍ مختلف، وذلك ببساطةٍ هو جوهر الانبثاق.

وبصورةٍ أشمل فالهياكل المعقّدة تتكون من عناصر أصغر؛ ومع ترتيب تلك العناصر وتفاعلها بأشكالٍ معينة، فإن النتيجة تكون نشأة ظواهر جديدةٍ قد تحتاج إلى قوانين جديدةٍ لدراستها.

في الفصل الثاني عشر من كتاب «الصورة الكبرى» للفيزيائي شون كارول، يتحدث عن الانبثاق وكيف أن الظواهر الطبيعية أحيانًا تحتاج لعدة مستوياتٍ مختلفةٍ من الوصف؛ فيبدأ بمثالٍ شاعريٍّ عن لوحة فان جوخ الشهيرة «ليلة النجوم»، فيقول: إن مكونات اللوحة- القماش والطلاء- هي أشياء مادية، مما يجعل اللوحة كلها ليست أكثر من مجموعة ذرات، فلم يقم فان جوخ بإضافة أي مكونات طاقةٍ روحيةٍ إلى لوحته.

Moussa Eightyzz

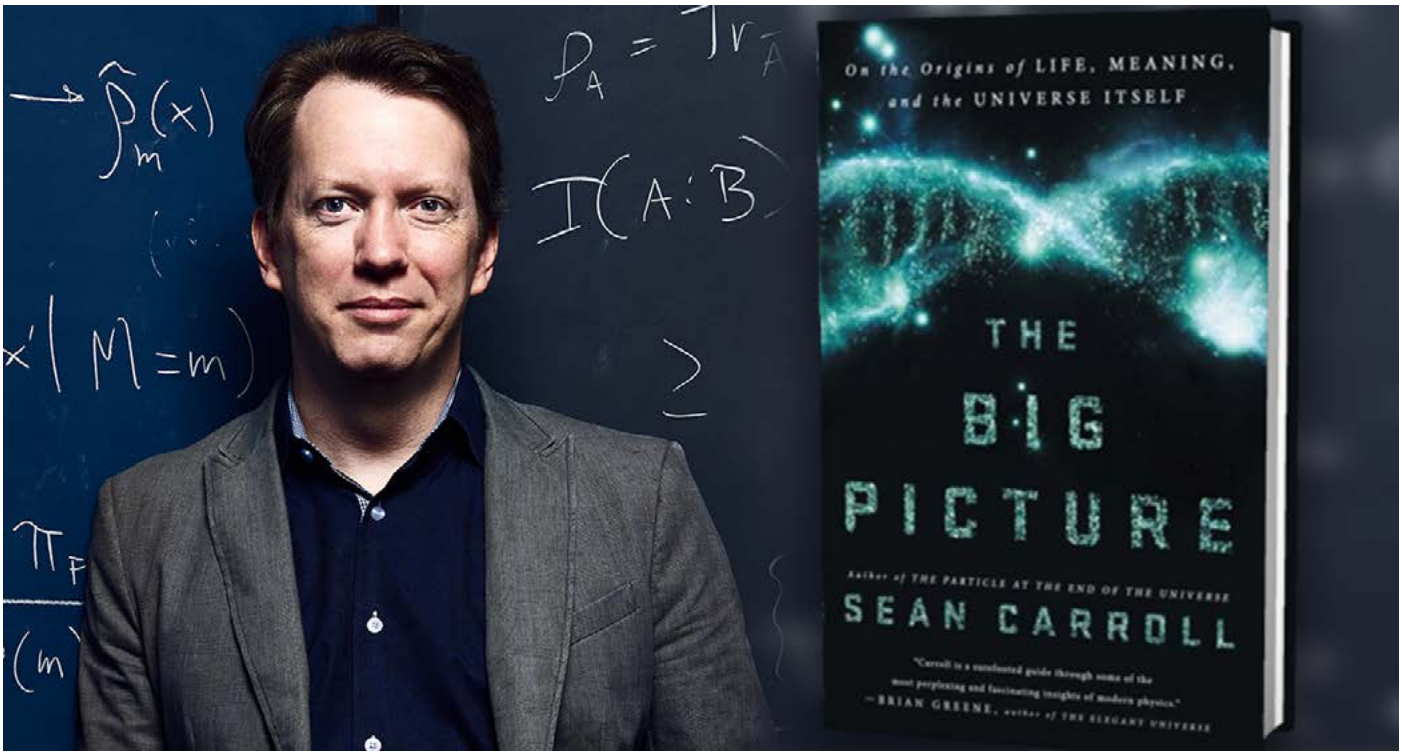

غلاف كتاب «الصورة الكبرى» إلى جانب الكاتب، الفيزيائي شون كارول

ثم يُكمل قائلًا أنه من الواضح أن تحديد ترتيبٍ معينٍ للذرات ليس هو الطريقة الوحيدة لوصف هذه الصنعة المادية، فاللوحة تحتوي على ما هو أكثر من ذلك بما يتعلق باختيار الألوان والتأثير النفسي للوحة والمكان والرسام نفسه... ثم يقول: «جميع تلك المفاهيم ذات المستوى الأعلى هي أشياء تتجاوز مسألة ترتيب الذرات الجافة (والدقيقة في الوقت نفسه) التي تشكّل اللوحة. فتلك المفاهيم هي خصائص منبثقة».

ليلة النجوم، بريشة ڤان خوخ

ثم ينتقل كارول إلى مثالٍ أكثر علميةً، فيشير إلى الهواء الموجود بالغرفة من حولك، ويقول هو عبارةٌ عن غازٍ له خصائص عديدةٌ مثل الحرارة، الكثافة، الرطوبة، السرعة... إلخ، وهي خصائص تنبع من تعاملنا مع الهواء باعتباره مائعًا غازيًا متدفقًا... ولكننا نعلم أن الهواء في الأصل- وعلى المستوى المجهري- يتألف من عددٍ كبيرٍ من ذراتٍ وجزيئاتٍ منفردة، من النيتروجين والأكسجين إلى جوار بعض الغازات الأخرى.

Moussa Eightyzz

الانبثاق

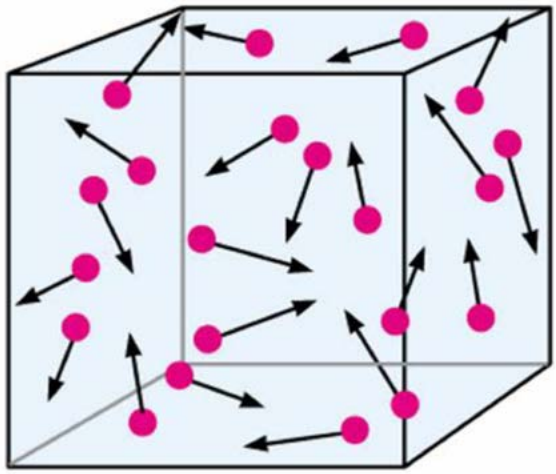

وهنا يكون لدينا طريقتان لوصف الهواء، على مستويين مختلفين: الأولى هي وضع قائمةٍ بجميع جزيئات الهواء (بأرقامها الهائلة) وتحديد حالة كل جزيءٍ منها، وهي طريقةٌ صحيحةٌ ولكن مضنيةٌ وعمليًا غير ممكنة، وأما الطريقة الثانية فهي وصف محصلات تلك الجزيئات والتي تُمثّل خصائصه المذكورة كمائع.

هاتان الطريقتان- والكلام لكارول- تستخدمان مفرداتٍ مختلفةً لوصف الشيء نفسه، ولكن كل نظريةٍ لها نطاقٌ تطبيقيٌ مختلف، ومن الواضح أن كلا النظريتين صحيحة، وربما كلًّا منهما مكتفيةٌ بذاتها ولا تعتمد على الأخرى، حتى وإن كانت إحداهما تنبع من الأخرى فمن وجهة نظرٍ عمليةٍ بإمكاننا أن نتحدث بلغة المائع دون أن نحتاج إلى الإشارة للجزيئات وخصائصها.

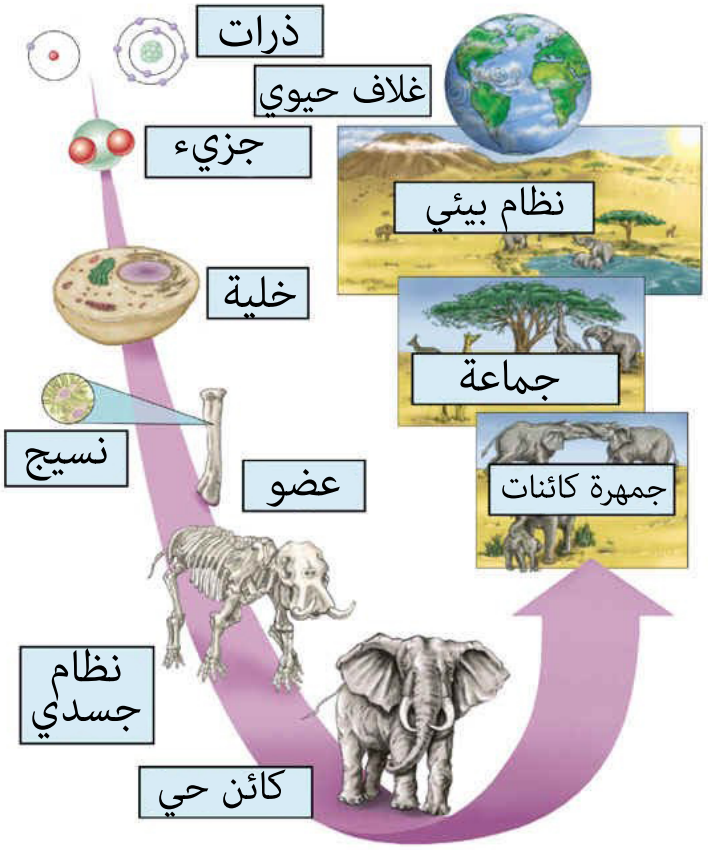

هنا يركّز كارول على جانب الانبثاق المتعلق برصد البشر للظواهر المختلفة، واختيارهم لنظرياتٍ مختلفةٍ تتحدث بمفرداتٍ مختلفةٍ عن الشيء نفسه، في إطار النطاق التطبيقي لكل نظرية، وكأنه يقول إن التفرقة بين المجالات المعرفية هي تفرقةٌ وضعيةٌ بشريةٌ ترجع لمنظورنا التفسيري للأمور.

ثم يقول: «عندما نتحدث عن أنظمةٍ جزيئيةٍ بسيطة، غالبًا ما يكون ممكنًا أن نحدد بدقةٍ المفردات النظرية الملائمة، وكذلك نقطة التحول من حالةٍ لأخرى. غير أن الحدود الفاصلة تصبح أكثر ضبابيةً عندما نبدأ في مناقشة علم الأحياء أو التفاعلات البشرية، ولكن مع انطباق نفس الأفكار الأساسية».

ثم يقوم بسرد قائمةٍ بسيطةٍ بحالاتٍ انتقاليةٍ مهمةٍ في تاريخ الكون:

- **تكوّن البروتونات والنيوترونات** من الكواركات والجلوونات في بداية نشأة الكون.
- **اتحاد الإلكترونات بنوى الذرات** لتُكوّن الذرات، بعد الانفجار الكبير بعدة مئات الآلاف من السنين.
- **تكوّن النجوم الأولى** التي ملأت الكون بضوءٍ جديد.
- **أصل الحياة**: تفاعلٌ كيميائيٌ معقّدٌ ومستمر.
- **نشأة الكائنات متعددة الخلايا**: عندما اندمجت كائناتٌ حيةٌ مختلفةٌ لتصبح كائنا حيًّا واحدًا.
- **نشأة الوعي**: الوعي بالذات والقدرة على وضع تصوراتٍ ذهنيةٍ للكون.
- **أصل اللغة والقدرة على تشكيل ومشاركة أفكارٍ مجردة**.
- **اختراع الماكينات والتكنولوجيا**.

ويمكن إضافة المزيد من الأمثلة: فمثلًا نحن نعلم أن قوانين ميكانيكا الكم تختلف تمامًا عن قوانين الفيزياء الكلاسيكية،

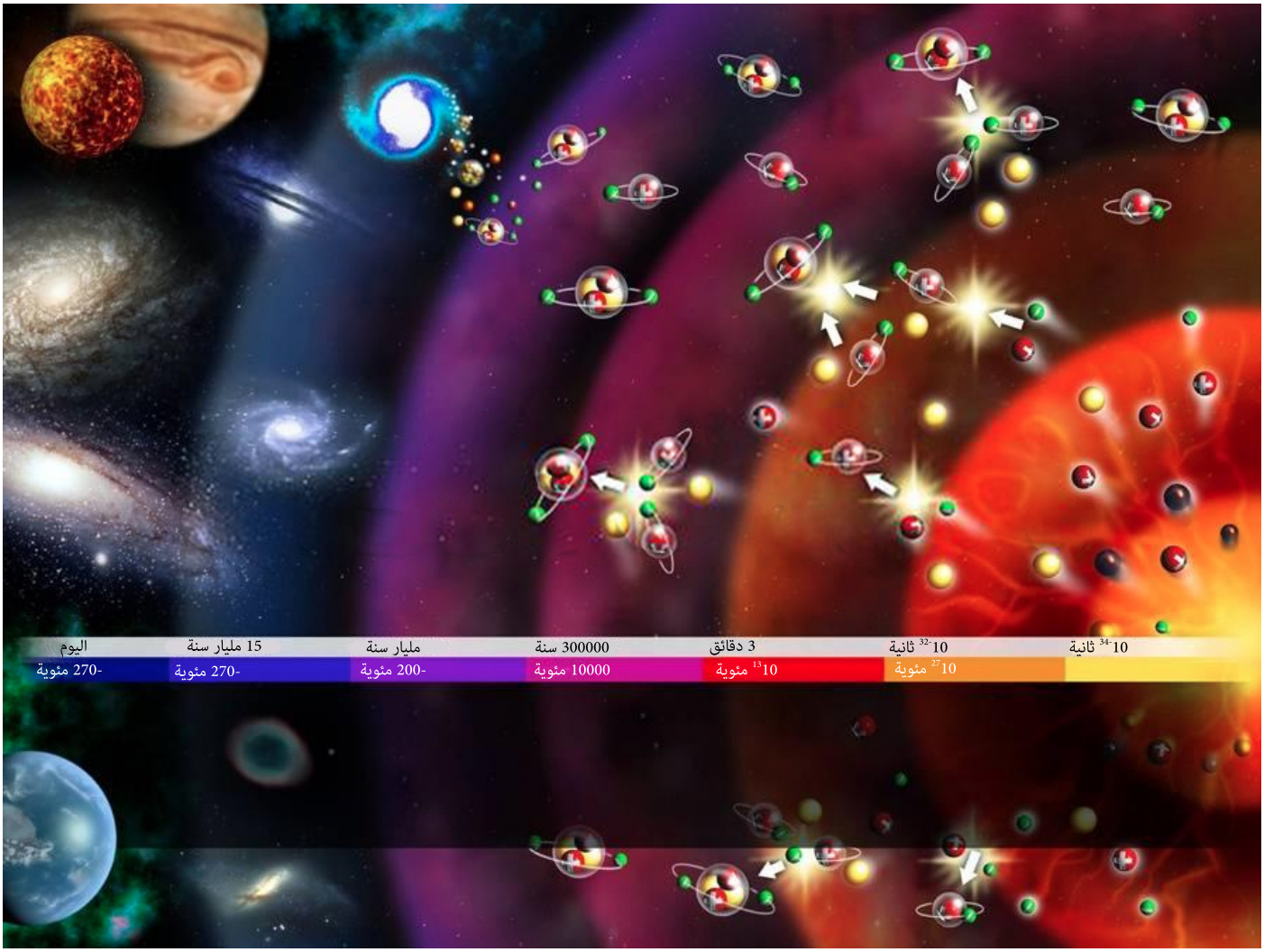

Moussa Eightyzz

بل تُعتبر أكثر تعقيدًا، إلا أن الثانية تُعتبر منبثقةً عن الأولى، فالفيزياء الكلاسيكية هي فيزياء الكم حين تعمل على الكتل الكبيرة.

وكذلك يمكن القول بأن علوم الأحياء كلها منبثقةٌ عن الكيمياء، فيرى العلماء أن الحياة نشأت من مركّباتٍ كيميائيةٍ استطاعت تكرار نفسها وتقسيم الأدوار بينها والعمل معًا بشكلٍ متكامل، ثم تطورت... وهكذا تتجمع الجزيئات لتخلق البروتينات، التي تتجمع معًا لصنع هياكل معقدةٍ تتكامل معًا ومع جزيئاتٍ أخرى لتُنتج وظائف بيولوجيةٍ أعلى وتصنع كائنًا حيًّا.

وكذلك فظواهر الذكاء والوعي والشعور، وعلم النفس بالكامل، منبثقةٌ عن الأنظمة العصبية لتلك الكائنات الحية.
وظاهرة الأخلاق إنما هي منبثقةٌ عن وعي الكائنات، خاصةً في تفاعلها مع بعضها البعض.

وفي تلك الحالة فلا يمكن فصل تلك الظواهر المنبثقة عن مكوناتها: فلا حياة بدون نشاطٍ كيميائي، ولا أخلاق بدون وعيٍّ ومشاعر، والتي لا توجد بدون مخ.

وهكذا نجد أن افتراض مكوناتٍ خارجية (روحيةٍ مثلًا) مضافةً للشيء بلا دليلٍ هو كسلٌ معرفيٌ واستهانةٌ بأهمية الترتيب وقدرته على إفراز الجديد، وكذلك فمحاولة اختزال الظاهرة في مكوناتها فقط يُعتبر تسطيحًا للأمور، فعلم الاقتصاد أوسع كثيرًا من المال، وعلم النفس أوسع من المخ، والأخلاق أوسع من المادة، والمشاعر أوسع من الكيمياء، كما أن لوحة فان جوخ أوسع من القماش والطلاء.

ختامًا، فالتجربة تخبرنا أن المنهج الأنسب لمحاولة فهم الظواهر حولنا ليس اختزالها في كينوناتٍ غيبيةٍ مبهمة، وإنما تفكيكها لعناصرها الأصلية وربطها ببعضها البعض، حينها قد نرى الأشياء وكأنها مستوياتٌ من التفاعلات الطبيعية المعقدة، والتي لا تخلوا من دهشةٍ وجمالٍ وغموض، ولكن بشكلٍ لا يستدعي معه حشر أي افتراضاتٍ سحريةٍ لا تفسّر شيئًا.

مجلة توثيقية علمية إلحادية

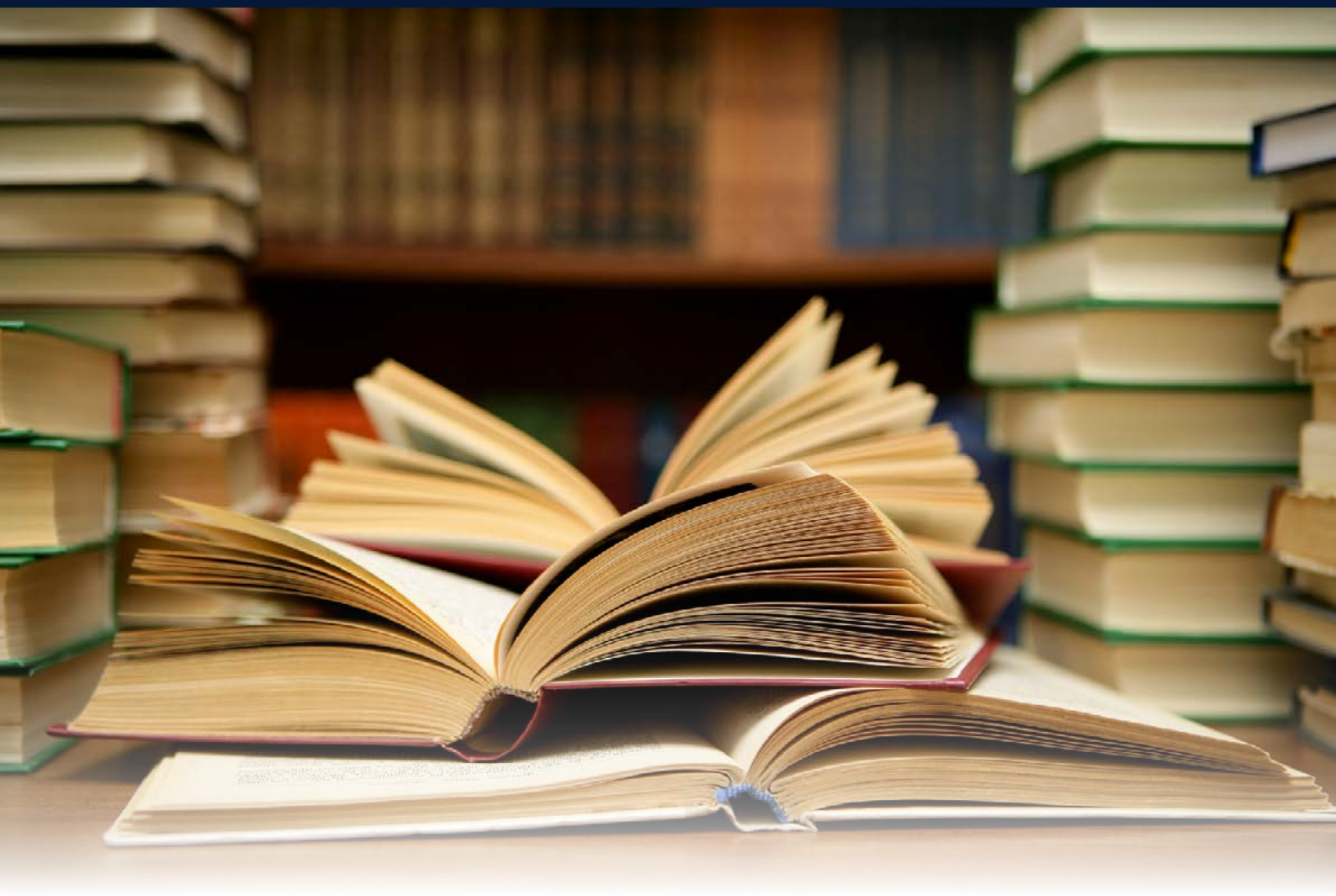

شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء

هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر

موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة الملحدين العرب

معاً نحو مستقبل منير

http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine

https://www.aamagazine.blogspot.com

https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299

https://issuu.com/928738

مسيلمةُ رحمن اليمامة... وما أدراك ما الرحمن! جـ 2
قرآن مسيلمة، انتشاره وتأثيره

مَن قال أنّ قرآن محمّدٍ لا يمكن الإتيان بمثله أو بأفضل منه؟

من قال أنه لا يمكن لأي سجعٍ أن يجذب أتباعًا يؤمنون به سِوى سجع محمد؟

من قال أنّ القرآن فيه مِن البلاغة ما ليس في غيره من النصوص؟

قرآن مسيلمة

مصطفى حجّي

مسيلمةُ رحمن اليمامة..أنّى وما أدراك ما الرحمن جـ2

مصطفى حجّي

من قال أنّ من معجزات القرآن أنه الكتاب الوحيد الذي آمنتْ به العرب بمجرّد سماعه، وهذا ما لا يمكن لأي سجعٍ آخر أو شخصٍ آخر بخلاف محمّدٍ أن يفعله؟

روى لنا التاريخ أنّ نبيّنا وحبيبنا وقُرّة أعيننا «مسيلمة» صلّى الرحمن عليه وسلّم قد أُوحِيَ إليه قرآنًا مُعجزًا آمَنَ به جمعٌ كثيرٌ مِن العرب، ولعلّ أوضح دليلٍ يُثبِتُ أن قرآن مسيلمةَ قد صدّقه الكثيرون هو ما نُقِلَ إلينا عن تعداد من كان في صفوف جيش مسيلمة الذين كانوا يَستميتون في الدفاع عنه، فقد ذكر ابن كثيرٍ في «البداية والنهاية»[1] أن تعداد جيش مسيلمة كان 40 ألف مقاتلًا، وفي خبرٍ آخر جاء أن العدد 100 ألفٍ في جيش مسيلمة.

حروب الردة

نستطيع أن نستنتج من هذا العدد المهول (من 40 إلى 100 ألف مُقاتِل)، وهو عددٌ كبيرٌ جدًا بالنسبة لذلك الزمن، أنّ غالبيّة سكّان شرق الجزيرة العربية كانوا يؤمنون بمسيلمة، فهذا العدد هو فقط للرجال المقاتلين، وبالتأكيد إن حسبنا ذَويهم مِن النساء والشيوخ والأطفال فنجد أن عدد من يدينون بدين مسيلمة حينها كان يتجاوز المئة ألفٍ على أقل تقدير، وهذا ما يدعم ما ذكرتُه في الجزء السابق على أن دين مسيلمة كان منتشرًا انتشارًا كبيرًا وكان يُشكّل تهديدًا على الإسلام وعلى سُلطة قريشٍ بالتحديد.

هذا العدد الكبير كان يُشكّل تهديدًا للمسلمين، وفي أوّل لقاءٍ بين جيش مسيلمة وجيش المسلمين بقيادة خالدٍ بن الوليد خسر المسلمون المعركة، فقد قُتِل الكثير منهم وانسحبوا، وقد قُتِل كثيرٌ من حَفَظَة القرآن لدرجة أن المسلمين خافوا من ضياع القرآن ونسيانه (ونتيجةً لتلك الحادثة أمر أبو بكرٍ أن يُكتب القرآن على الجلود والأوراق «وقد كانت أوّل عمليّة جمعٍ فعليّةٍ للقرآن»، فقد كان قبلها متشتّتًا في أذهان الكثير مِن الصحابة فكان الحفظ هو الوسيلة الوحيدة لبقاء ذِكر القرآن).

يتوَضّح لنا من السابق حجم إخلاص أتباع مسيلمة ممّن يدينون بدينه، وهذا الإخلاص ناتجٌ عن إيمانهم العميق بمسيلمة النبي «صلّى الرحمن عليه وسلّم».

1- ابن كثير، البداية والنهاية، ج 6.

مسيلمةُ رحمن اليمامة..أنّى وما أدراك ما الرحمن جـ2

مصطفى حجّي

طمسُ المؤسسة الإسلاميّة لقرآن مسيلمة

اِمتاز مسلمة الحنفي عن باقي الأحناف الأوائل بأنه امتلك كتابًا خاصًا به سمّاه الجيل الأول من المسلمين بـ «قرآن مسيلمة» أو سجع مسيلمة، وقد جاء في كتاب «نشوة الطرب» نقلًا عن كتاب «المنتظم» من قرآن مسيلمة: «والشاة السوداء واللبن الأبيض ۞ إنّه لعجبٌ محض»[2]، وفي هامش الصفحة جاء تعليقٌ على هذا النص يقول: «لعلَّه ممّا لم يُنشر من المنتظم». هذه الجملة تكشف -دون قصد- عمليّة «التغييب» المتعمّد التي مورِسَت على غالبيّة ما يتعلّق بمسيلمة وقرآنه.

وبما أنّ ما تبقّى من ذِكرٍ لقرآن مسيلمة قد وصل إلينا من خلال مؤسسة المؤرخين المسلمين «المؤسسة الضد» فيجب علينا ألّا نتأمّل شيئًا خاليًا من التحريف والتشويه مما نقرأه، أيضًا يوجد من المنسوب إلى مسيلمة ما هو متفاوتٌ في القيمة والبلاغة وهذا ما يثير الشك.

السؤال الذي يجب أن نطرحه هنا، لقد ذكر بعض المؤرخين أن قرآن مسيلمة كان يضاهي قرآن محمدٍ فنصوصه كثيرةٌ وفيها بعض السجع البليغ، لكن أين هو هذا القرآن؟ لماذا لم ينقلوا لنا آياته ونصوصه؟ كل ما أوردوه لنا هي بعض النصوص القصيرة «كالفيل والضفدع» وغيرها، لماذا طمسوا قرآن مسيلمة ولم ينقلوه إلينا كما نقلوا أشعار الجاهلية مثلًا؟!

ربما سبب الطمس والتغييب الذي تعمّده المسلمون كان كي لا نكتشف أوجه التشابه ربّما بين قرآن محمدٍ وقرآن مسيلمة، أو ربما لأن قرآن مسيلمة يملك من البلاغة ما يضاهي قرآن محمدٍ فخافوا على المسلمين الذين سيقرأون سيرة مسيلمة فيما بعد من أن يصدِّقوا مسيلمة وقرآنه ويتّبعوه، ربّما!

قد يقول قائل: المسلمون نقلوا لنا بالفعل بعض آيات مسيلمة وسردوها لنا، لكن يبقى السؤال: لماذا لم ينقلوا إلينا إلّا القليل والقليل جدًا عن مسيلمة، ثم حتّى وإن كانت هذه النصوص «كالضفدع يا ابن الضفدعين والفيل له خرطومٌ طويل»، حتى وإن كانت ضمن ما نقله المسلمون فلربّما تكون مِن تزييف ووضع المسلمين أنفسهم لكي يشوِّهوا صورة مسيلمة ويضعونه موضِع السخرية.

2- ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، 631/2.

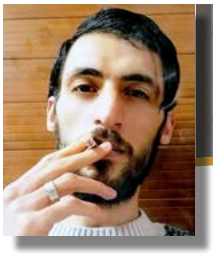

مسيلمةُ رحمن اليمامة.. أنّى وما أدراك ما الرحمن جـ2 مسيلمة

مصطفى حجّي

ينبغي أن نذكر أن أتباع مسيلمة أُبيدوا مِن قِبَل المسلمين سواءً كانت إبادتهم أثناء وقوفهم إلى جانب مسيلمة في حروبه ضد المسلمين، أو بعد مقتله، فقد قُتِل مَن قُتِل منهم أثناء هذه المعارك، ومن بَقي منهم فقد نُفِيَ وقد دخل هؤلاء البقيّة المنفيّون في الإسلام تحت سُلطة السيف، أي أنّ الفرض لا التأثير هو الذي جعلهم يدخلون -ظاهريًّا- في الإسلام، لكنهم ظلّوا يُبطِنون إيمانهم بدينهم الأوّل «دين مسيلمة»، ولكن بعضهم قد جَهَروا باعتقادهم بدين مسيلمة هذا حتّى بعد أن سيطر المسلمون على جزيرة العرب والعراق وبلاد الشام، فقد ورد أنّ جماعةً كثيرةً في الكوفة على عهد عثمانَ بن عفّانَ كانت تقول «أن مسيلمة كان على حق»[3].

وَرد في مصنّف ابن أبي شيبة[4] أنّه في عهد عثمان مَرّ رجلٌ بمسجدٍ في الكوفة وكان بنو حنيفة المنفيّون من اليمامة يأتون للصلاة فيه وكانوا يقرأون في صلاتهم من قرآن مسيلمة «والطاحنات طحنًا والعاجنات عجنًا»، فأفشى هذا الرجل ما رآه لعثمان فأرسل عثمان لهم سريّةً من المسلمين فتمّ قتلهم دون استتابة، وكما ذكر البلاذري أنّ من بين المقتولين في الكوفة كان عبادة بن الحارث بن النواحة الذي قتله عبد الله بن مسعود وكان ابن النواحة مؤذّن مسيلمة[5].

وقد وردت روايةٌ أخرى لهذه الحادثة، وتقول هذه الرواية:
جَاءَ رجلٌ إِلَى ابْن مَسْعُود فَقَالَ: «إنّي مررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرأون قراءةً ما أنزلها اللَّه: «الطَّاحِنات طَحْنًا، والعاجنات عَجْنًا، والخابزات خَبْزًا، والثَّاردات ثَرْدًا، واللاقمات لَقْمًا». فأرسل إليهم عبد اللّه فأتى بهم، وهم سبعون رجلًا ورَأسُهم ابْن النوَّاحَة. قَالَ: فأمَر بِهِ عَبْد اللَّه فقُتل. ثمّ قَالَ: ما كنّا بِمُحْرِزِين الشَّيْطان من هَؤُلَاءِ، ولكنّا نَحْذُرهم إلى الشّأم لعلّ اللّه أنَّ يَكْفِيَنَاهُمْ»[6].

هنالك أيضًا خبرٌ مُعتمٌ جاء في كتاب «تقييد العلم»[7]، يتكلّم هذا الخبر عن حادثةٍ حصلت في الكوفة أثناء خلافة عثمان، يقول نص الخبر: «عن أشعث بن سليمٍ عن أبيه، قال: كنت أجالس أناسًا في المسجد، فأتيتهم ذات يوم، فإذا عندهم صحيفةٌ يقرأوها، فيها ذِكرٌ وحمدٌ وثناءٌ على الله، فأعجبتني، فقلت لصاحبها أعطنيها فأنسخها قال: فإني وعدت بها رجلًا

3- مختصر سيرة الرسول/27.
4- مصنَّف ابن أبي شيبة/ج7/ص 597.
5- فتوح البلدان/59.
6- تاريخ الإسلام ت تدمري 2/685.
7- تقييد العلم: 55

مسيلمةُ رحمن اليمامة..أنّى وما أدراك ما الرحمن جـ2

مصطفى حجّي

فأعد صحفك، فإذا فرغ منها، دفعتها إليك» فأعددت صُحُفي، فدخلت المسجد ذات يوم، فإذا غلام يتخطى الخلق، يقول: أجيبوا عبد الله بن مسعود في داره، فانطلق الناس، فذهبت معهم، فإذا تلك الصحيفة بيده. وقال: ألا إن ما في هذه الصحيفة فتنةٌ وضلالةٌ وبدعة؛ وإنما هلك من كان قبلكم من أهل الكتب باتّباعهم الكتب، وتركِهم كتاب الله. وإني أحرج على رجلٍ يعلم منها شيئًا إلا دلني عليه. فوالذي نفس عبد الله بيده، لو أعلم منها صحيفةً بدير هندَ لأتيتها، ولو مشيًا على رجليّ؛ فدعا بماء، فغسل تلك الصحيفة».

هذه الصحيفة التي استحوذَت على الحضور حتى أنها أفزعتْ عبد الله بن مسعودٍ ومن معه من المسلمين لم تكن إلّا ذكرٌ لله وحمدٌ وثناءٌ عليه، لماذا مَثّلت تهديدًا هائلًا دفعت بابن مسعودٍ إلى أن يُقسِم بأن يمحوها ويستأصلها ولو كانت بدير هند؟!

إن الأمر لا يتعلّق بمضمون الصحيفة وأسلوبها بقدر ما يتعلّق بمنبعها ومصدرها. وقد جاء الخبر دون ذِكر منبع هذه الصحيفة، إلا أنّ منبعها يمكننا استنتاجه وهو مسيلمة وأن مضمونها كان بعضًا من آياته. وأعيد وأكرر: هذا الخبر وما فيه حدث في عهد عثمان وفي الكوفة بالعراق.

قرآن محمدٍ أم قرآن مسيلمة؟

كما ذكرتُ في الجزأين السابقين فإنّ نبوّة مسيلمةَ كانت قبل نبوّة محمدٍ وأنه -أقصد مسيلمة- كان يسجع منذ بداية تنبُّئِه، وأحد الأدلّة التي تُثبت هذا هو ما وَرَد في كتاب «الزهري»: أنَّ محمدًا عندما قال «بسم الله الرحمن الرحيم» لأوّل مرّة، قالت قريشٌ لمحمد: «دُقّ فوك» (أي بمعنى شُلَّ فَمُكَ)، دُقَّ فُوكَ إنّما تَذكُر مسيلمة «رحمن اليمامة»، وقد عايروه بأنّه أخذها من قرآن مسيلمة، فأحسَّ محمدٌ بأنّه تورّط فتراجع قليلًا وقال لا تجهروا بها وكذلك عندما قال محمد «اسجدوا للرحمن» غضب القوم وزادهم نفورًا؛ لأن الرحمن كما تعرفه قريشٌ هو رحمن اليمامة مسيلمة.

وهذا أحد الإثباتات التي تؤَكِّد أنَّ ادّعاء مسيلمة للنبوة كان قبل ادّعاء محمد.

الآن، وبالرغم من أن المسلمين قد طمسوا غالبيّة ما يتعلّق بمسيلة وأحرقوا كُتُبه وكُتُب أتباعه ومسحوها من الوجود في محاولةٍ منهم لتجنّب كشف الناس لأسرار نبوّة مسيلمة وبالتالي تجنُّب معرفة الناس التشابه الكبير بين دعوة مسيلمة

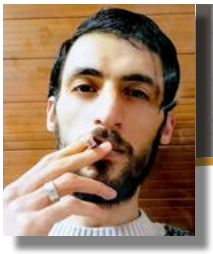

مسيلمةُ رحمن اليمامة..أنّى وما أدراك ما الرحمن جـ2

مصطفى حجّي

ودعوة محمد، إلّا أنّ كُتُب الأخبار قد نَقَلَتْ إلينا بعضًا من آيات مسيلمة والتي نجَت من الطمس، والمُلفِت للنظر أنّ أغلبها تتشابه في سجعها مع آيات محمد، وربما يؤكّد هذا التشابه أنّ محمدًا كان يُقلِّد مسيلمة في قرآنه، وقد كشفتُ سابقًا ووضَّحتُ أن مسيلمة تنبّأ قبل محمّدٍ كي لا يقول قائلٌ أنّ مسيلمة سرق من محمدٍ فالواقع يدلّ على العكس.

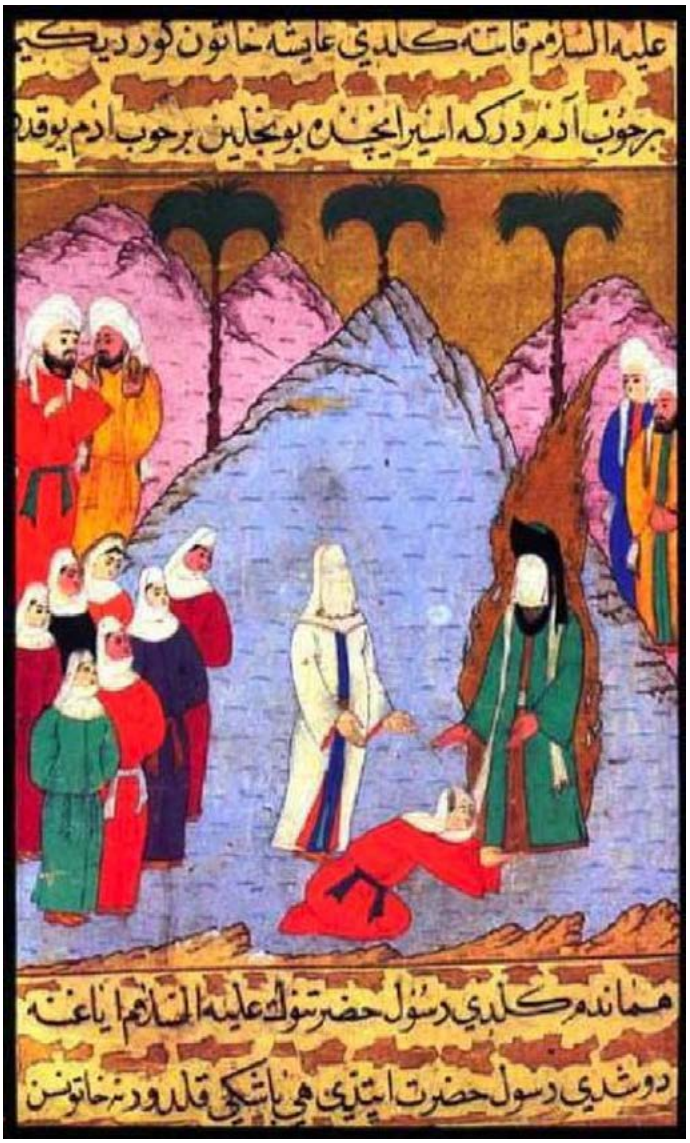

وإذا صدقت الأخبار التي تنقُل لنا بعضًا مِن آيات مسيلمة وكانت فِعلًا من قول مسيلمة فسنلاحظ بأشد الوضوح ونجد أنّ مسيلمة يُقْسِم بما في بيئته من حوله في آياته وكذا محمدٌ يُقسِم، ونجد أنّ مسيلمة قد حلّل لنفسه ولأتباعه الاستمتاع بالنساء حيث تهب النساء أنفسهن له؛ وقد وهبَتْ سجاحُ نفسها لمسيلمة[8]، وكذلك نجدُ محمدًا ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: 50).

وقد أغضب هذا عائشة فقالت لمحمدٍ عندما نزلت هذه الآية: «ما أرى ربّك إلّا يُسارِع في هواك».

وقد كان لمسيلمة صلاةٌ يُقرأ فيها مِن قرآنه، فعن حارثة بن مُضرٍ قال: خَرج رجلٌ يَطرُق فَرسًا له فمَرَّ بمسجد بني حنيفةَ في اليمامة فصلّى فيه، فقرأ بهم إمامهم بكلام مسيلمة الكذّاب[9].

وهنا نُلاحظ أنّ مسيلمة حينها كان لديه أئمّةٌ يؤُمُّون بالمصلّين وله صلواتٌ تُقام في مساجده، وسنُلاحظ تاليًا تطابق السجع في قرآن مسيلمة مع قرآن محمد؛

8- ثمار القلوب: 315

9- مُصنَّف ابن أبي شيبة، كتاب الجهاد، باب ما قالوا في الرجل يُسلم ثمّ يَرتَد ما يُصنع به، حديث رقم 17.

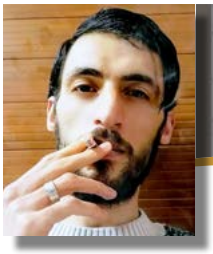

مسيلمةُ رحمن اليمامة..أنّى وما أدراك ما الرحمن جـ2

مصطفى حجّي

فمثلًا عندما ذهَبَت سجاح إلى مسيلمة سألته: ماذا أُوحي إليكَ؟ فقال:

«ألم تَرَ كيف فعل ربّك بالحبلى ۞ أَخرج منها نسمةً تسعى ۞ من بين كلّ صِفاقٍ وحشَا ۞ إنّ الله خلق النساء أفواجا ۞ وجعل الرجال لهن أزواجا ۞ فنولج فيهن قَعسا إيلاجا ۞ ثم نخرجها إذا شئنا إخراجا ۞ فينتجن لنا سِخالا نِتاجا».

فقالت سجاح: أشهد أنّك نبي[10].

وقال محمّد:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

أيضًا قال مسيلمة:

«والمُبذرات زرعًا ۞ والحاصدات حصدًا ۞ والذاريات قمحًا ۞ والطاحنات طحنًا ۞ والعاجنات عجنًا ۞ والخابزات خبزًا ۞ والثاردات ثردًا ۞ واللاقمات لقمًا ۞ إهالة وسمنًا ۞ لقد فُضِّلتم على أهل الوبر ۞ وما سبقكم أهل المدر ۞ ضيفكم فامنعوه ۞ والمعتر فآووه ۞ والباغى فناوئوه»[11].

وقال محمد:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۞ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۞ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۞ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۞ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ سورة المرسلات.

قال مسيلمة:

«إنّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَوَاهِرْ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَهَاجِرْ۞ إنّ مُبْغِضَكَ رَجُلٌ كَافِرْ»[12، 13].

وقال محمد:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ سورة الكوثر.

قال مسيلمة:

«وَالشَّمْس وَضُحَاهَا ۞ فى ضوئها ومنجلاها ۞ وَاللّيْل إذا عَداهَا ۞ يطْلبهَا ليغشاها ۞ فأدركها حَتّى أَتَاهَا ۞ وأطفأ نورها فمحاها».

وقال محمّد:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ سورة الشمس.

10- (معرفة أنساب العرب:4/12) و (تاريخ الطبري: 2/270).

11- تاريخ الطبري: 2/279.

12- أبو عبد الله القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: 91.

13- في نسخةٍ أخرى بحسب ابن تيمية في «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية»: «إنّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَمَاهِرْ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَهَاجِرْ ۞ وَلَاتُطِعْ كُلّ سَاحِرٍ وَكَافِرْ».

مسيلمةُ رحمن اليمامة..آنٌ وما أدراك ما الرحمن جـ2

مصطفى حجّي

قال مسيلمة:

«سبّح اسم رَبّك الْأَعلَى ۞ الذى يَسّر على الحبلى ۞ فَأخرج مِنهَا نسمَةً تسْعى ۞ من بَين أحشاء ومعى ۞ فَمنهم من يموت ويُدسُّ فى الثَّرى ۞ وَمِنهم من يعِيش وَيبقى إِلَى أجل ومنتهى ۞ وَالله يعلم السر وأخفى ۞ وَلَا تخفى عَلَيهِ الآخِرَة وَالأولَى»[14].

وقال محمد:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۞ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۞ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ۞ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۞ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۞ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ سورة الأعلى.

أيضًا مِن آيات مسيلمة:

«قد سمع الله لمن سمع ۞ وأطعمه بالخير إذا طمع ۞ ولا زال أمره فى كل ما سر نفسه يجتمع ۞ رآكم ربكم فحياكم ۞ ومن وحشة خلاكم ۞ ويوم دينه أنجاكم فأحياكم ۞ علينا من الصلوات معشر أبرار ۞ لا أشقياء ولا فجار ۞ يقومون الليل ويصومون النهار ۞ لربكم الكبار ۞ رب الغيوم والأمطار»[15].

وإذا لاحظتم فإنّ رجال الدين المسلمين عندما يتحدّثون عن مسيلمة لا يذكرون مِن آياته إلّا سورة «الْفِيلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ ۞ لَهُ زَلُومٌ طَوِيلٌ ۞ إِنّ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِ رَبّنَا الْجَلِيلِ»، وسورة «يَا ضِفْدَعُ ابنة ضفدع ۞ نِقِى مَا تَنِقّينَ ۞ أَعْلَاكِ فِي المَاءِ وَأَسْفَلُكِ فِي الطِّينِ ۞ لَا الشّارِبَ تَمْنَعِينَ ۞ وَلَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ»، لن ترى مشايخ المسلمين يتحدّثون عن آيات مسيلمة سِوى بهذه الآيات؛ لأنها من أسخف النصوص، وكما قلت سابقًا لربّما تكون الأخيرة مِن تزييف وتأليف ووضع المسلمين أنفسهم لكي يشوّهوا صورة مسيلمة ليضعوه موضِع السخريّة... لكن حتّى وإن قالها مسيلمة نفسه فيمكننا ملاحظة أنّ محمّدًا قد استلهم من السورة الأولى «ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر».

وصدِّقوني؛ آيات -الضفدع والفيل ما الفيل- لو افترضنا أنّ قائلها هو محمّدٌ وأنها مكتوبةٌ في قرآن المسلمين؛ لوجَدنا شيوخ الإسلام ودعاة الإعجاز يصنعون منها إعجازًا علميًّا وبلاغيًّا، لكنها لمسيلمة «كما يقولون» بالتالي هي هراءٌ في هراء، بعكس الإعجاز البلاغي والعلمي الكبير في آيات «ليس على الأعمى حرج، والبغال والحمير لتركبوها».

14- ابن الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 147.

15- علي الحلبي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، السيرة الحلبية.

https://www.facebook.com/groups/arbangroup/

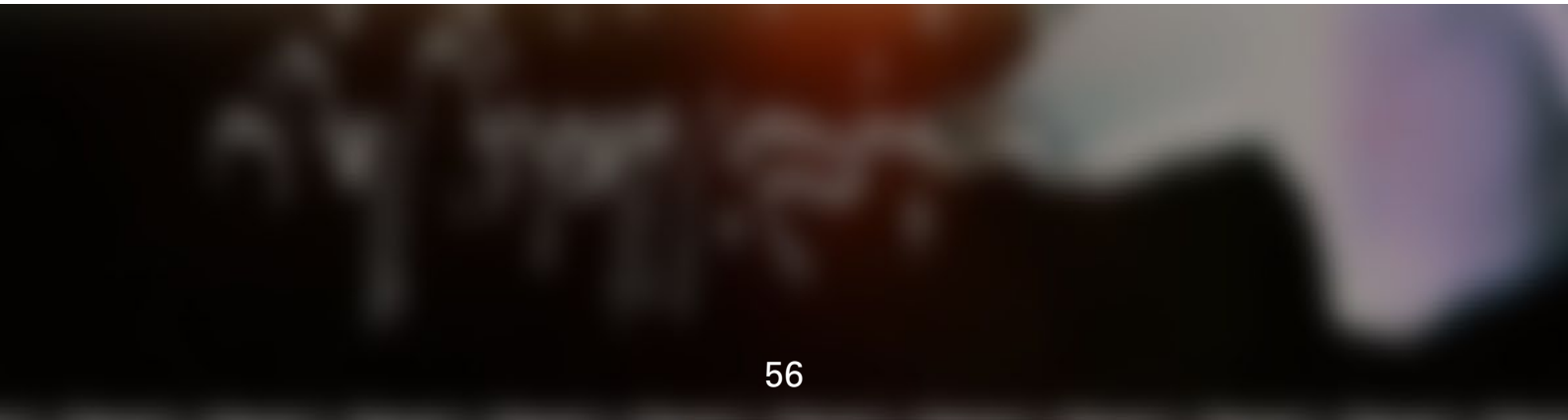

دليلك لدحض الخرافات

جون كوك ستيڤن ليونداوسكي

كلنا نكبر مع خرافاتٍ تطوّرت على مدى قرونٍ ورافقت أجدادنا وأجدادهم من قبلهم حتى صارت جزءًا أساسيًا من هوية ثقافتنا، هذه هي طبيعة البشر، لكن ثمة خرافاتٍ ذات أمدٍ أقصر، تظهر أمام ناظرينا وتتحوّر وتتطور وتترك أثرًا يكون في الغالب هدّامًا على المجتمع حتى لو كان فيها بعض الفائدة.

دليلك لدحض الخرافات

مقدمة المترجم

لربما كان الدين وما يرافقه من معتقداتٍ متوارثةٍ من أكبر الأنظمة الخرافية في التراث البشري ومواجهة آثاره هي معركةٌ معقدةٌ طويلة الأمد، لن تنجح بفعل جهودٍ فرديةٍ متناثرة، وإنما تحتاج إرادةً شعبيةً واسعة النطاق وتغيّراتٍ مجتمعيةً جارفةً تمثّل الجهود التنويرية إحدى ظواهرها، وموجة ترك الدين ونقده العلني التي نشهدها في العقدين الأخيرين تدل على وجود تغيراتٍ مجتمعيةٍ واسعة النطاق، لكننا في هذا المقال لن نتعامل مع الدين ككل من حيث هو خرافةٌ مستشريةٌ يمكن دحضها، فلا الأمر عمليٌ ولا الدين خرافةٌ واحدةٌ بالمعنى الذي سيتعامل معه المقال، فالتركيز هنا سيكون على أساليب التعامل مع الخرافات الأكثر تحديدًا، ومع أن بعض الأمثلة التي يوردها المقال بعيدةً بعض الشيء عن القارئ العربي، إلا أن المثال الأقرب الذي ينطبق عليه المقال في حاضرنا اليوم هو خرافة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

قبل البدء لا بد من توضيح بعض المصطلحات التي سترِد في المقال، لكون المقابل العربي غامضٌ بعض الشيء، أو غير دارج الاستعمال بالطريقة المذكورة في الأصل الإنجليزي.

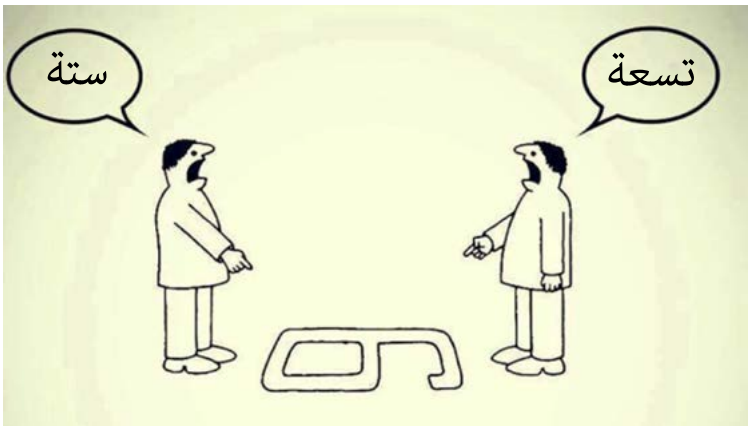

أول هذه المصطلحات هي كلمة «واقعة» كمقابلٍ لكلمة Fact، حيث ارتأيت ترجمتها إلى «واقعة» بدلًا من «حقيقة» على غير ما تُترجم غالبًا، والسبب أن مفهوم الحقيقة بتداعياته الفلسفية لا مكان له في العلم، فالعلم مكوّنٌ من مشاهداتٍ وتفسيراتٍ لتلك المشاهدات ونظرياتٍ تنظّم تلك التفسيرات على شكلِ بناءٍ نظريٍّ يشمل إضافةً إلى تفسير المشاهدات على قدرة التنبؤ بالمزيد من المشاهدات المحتملة، وكل عملية البحث العلمي لا تشمل أي يقينيات، فاليقين هو وهمٌ مريحٌ يرتبط بقوةٍ بفكرة الحقيقة كما نراها في مجال الدين بالذات. ورغم أن المعنى الإنجليزي للكلمة يحتوي في شكله المتداول على وهمٍ مشابهٍ نوعًا ما، إلا أن كلمة «حقيقة» تُقابل بشكلٍ أقرب كلمة Truth، والحقيقة توحي بمعرفةٍ مطلقة تتعدى عملية البحث والخطأ والتعديل وإعادة النظر التي تميز تحصيل المعرفة، فنحن نستطيع تحصيل المعرفة عن وقائع معينة لكننا إسباغ صفة اليقين على هذه الوقائع هو أمرٌ غير مبررٍ ولا سبيل له، ولذا وجب التمييز بين المعنيين.

المصطلح الثاني هو «معلومة مضلِّلة» كترجمةٍ لكلمة Misinformation، فمع أن متن المقال نفسه يعطي تعريفًا لها، وجب إيضاح أن المقصود هنا ليس تضليلًا متعمدًا بالضرورة، فالمضلِّل هنا هو المعلومة وليس مختلِق المعلومة بالضرورة، لذا من الممكن أيضًا وصفها بالمعلومة الخاطئة، أما النشر المتعمد لمعلومةٍ خاطئة (مختَلَقةٍ أو نابعةٍ من سوء فهم) فهو يقابل التضليل Disinformation، أو تعمد نشر معلوماتٍ حقيقيةٍ بهدف الإساءة أو معلوماتٍ دون سياقها الحقيقي Malinformation، وهذان النوعان لا يمثلان موضوع مقالنا هذا.

دليلك لدحض الخرافات

إليكم الآن ترجمة المقال، وبعده أقوم بالتعقيب عليه في سياق خرافة الإعجاز العلمي:

إن دحض الخرافات عمليةٌ تعتريها إشكالات. فبدون توخي الحذر، قد تؤدي محاولة دحض معلومةٍ مضلِّلة Misinformation إلى تعزيز الاعتقاد بالخرافة التي يحاول المرء تصحيحها.

ولتجنب هذه التأثيرات العكسية، فإن الدحض الفعّال يتطلب ثلاثة عناصر رئيسية:
1- أولها **أن يركز النقض على الحقائق الجوهرية**، لا على الخرافة نفسها، وذلك لتجنب جعل المعلومة المضلِّلة أكثر ألفةً.
2- ثانيها أن **أي ذكرٍ للخرافة يجب أن يكون مسبوقًا بتحذيراتٍ صريحةٍ** للقارئ بأن المعلومة التي ستلي خاطئة.
3- وآخر تلك العناصر أن **على النقض أن يحتوي تفسيرًا بديلًا** يُعلل الخصائص الهامة التي تميز المعلومة المضلِّلة الأصلية.

دحض خرافةٍ متعلقةٍ بعملية الدحض نفسها

من الجلي أن على المجتمعات الديمقراطية تأسيس قراراتها على معلوماتٍ دقيقة. ولكن في قضايا عديدةٍ تستطيع المعلومات المضلِّلة التغلغل في بعض أجزاء المجتمع، لا سيما إذا ما اقترن الأمر بمصالح مكتسبة[1، 2]. ويمثّل التقليل من أثر المعلومات المضلِّلة تحديًا معقدًا وصعبًا.

يوجد سوء فهمٍ شائعٍ يتعلق بالخرافات ويتمثّل في توهم سهولة إزالة أثر الخرافة عبر حشو رؤوس الناس بالمزيد من المعلومات. وينطلق هذا المذهب من افتراض أن تصورات الناس الخاطئة تنبع من نقصٍ في المعرفة، وأن الحل يكون بتوفير المزيد من المعلومات. ويُعرف هذا المذهب في مبحث نشر العلم Science communication باسم «نموذج نقص المعلومات» Information deficit model. لكن هذا النموذج خاطئ، فالناس لا يهضمون المعلومات بنفس بساطة ما يفعله قرص تخزين الحاسوب عندما يحمّل المعلومات.

إن نقض المعلومات المضلِّلة يقتضي التعامل مع عملياتٍ إدراكيةٍ معقدة، فحتى ينجح ناشر المعلومات في مسعاه، يحتاج إلى فهم الكيفية التي يعالج فيها الناس المعلومات، وكيفية تعديلهم للمعرفة التي بحوزتهم، وكيفية تأثير نظرة المرء العامة إلى العالم على قدرته على التفكير العقلاني، فليس محتوى ما يفكر به الناس هو المهم فقط، وإنما كيفية التفكير كذلك.

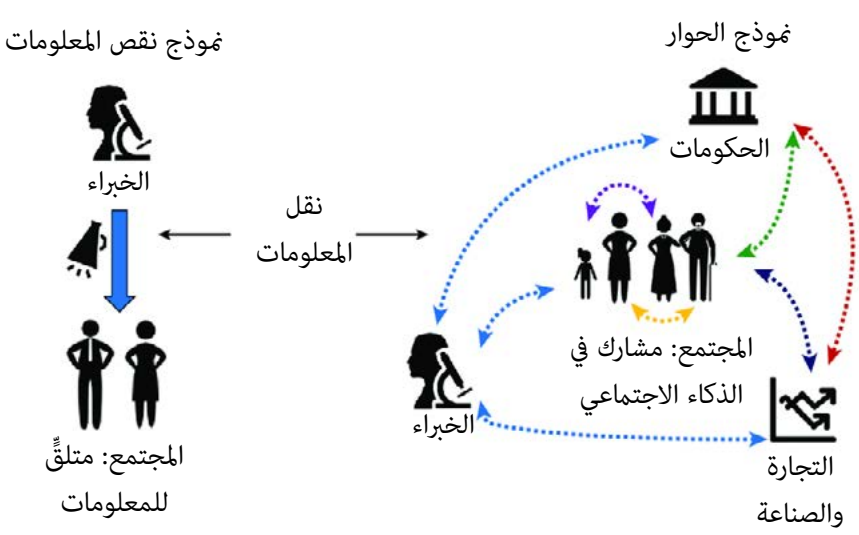

دليلك لدحض الخرافات

في البداية، لنكن واضحين بمقصدنا من مصطلح «معلومات مضلِّلة» Misinformation، فنحن نستخدمه للإشارة إلى أي معلومةٍ يكتسبها الناس ويتبين أنها غير صحيحة، بغض النظر عن طريقة وسبب اكتساب تلك المعلومة أصلًا. نحن هنا مهتمون بالعمليات الإدراكية التي تحكم كيفية معالجة الناس لتصحيح معلوماتٍ كانوا قد اكتسبوها سابقًا: فلو تبين لك أن أمرًا اعتقدت بصحته هو أمرٌ غير صحيح، فكيف تقوم (أو تقومين) بتحديث معرفتك وذاكرتك؟

ليس محتوى ما يفكر به الناس هو المهم فقط، وإنما كيفية التفكير كذلك.

في اللحظة التي يستقبل فيها الناس المعلومة المضللة من الصعب جدًا استئصال تأثيرها، وقد تم إظهار ذلك عبر تجربةٍ أجريت عام 1994 تم من خلالها تعريض أناسٍ لمعلومةٍ مضللةٍ عن حريقٍ وهميٍ في مستودع، ثم أعطي هؤلاء الناس تصحيحًا يوضح الأجزاء الكاذبة من القصة[3]. ورغم تذكّر وقبول ذلك التصحيح، إلا أن تأثير المعلومة المضللة استمرت بقاياه، حيث كان الناس يشيرون إليها عند إجابتهم عن أسئلةٍ حول القصة.

هل من الممكن إزالة أثر المعلومة المضللة تمامًا؟ تشير الدلائل أننا مهما حاولنا تصحيح المعلومة، بالتكرار والتشديد عليها، مثلًا عبر تكرار التصحيح، فإن أثر التضليل يظل موجودًا[4]، كما لو كان طينًا يلتصق بكل ما يحتك به.

علاوةً على ذلك، ثمة عاملٌ يزيد من تعقيد الأمر، فالمشكلة لا تقتصر على صعوبة إزالة المعلومة المضللة، ذلك أن محاولة دحض الخرافة قد تؤدي إلى تعزيز تلك الخرافة في أذهان الناس، وقد تمت ملاحظة العديد من هذا النوع من التأثيرات العكسية تظهر بسبب أن فعل الدحض يجعل من الخرافة مألوفةً أكثر [5، 6]، أو بسبب كثرة الحجج المقدَّمة[7]، أو من تقديم أدلةٍ تهدد استقرار تصور المرء عن عالمه وحياته[8].

آخر ما يريده من يحاول دحض معلومةٍ مضللةٍ أن يخطئ بزيادة الطين بلةً، وما سيركز عليه هذا المقال هو تقديم نصائح عمليةٍ لدحض المعلومات المضللة بشكلٍ فعالٍ وتجنب الآثار العكسية المتعددة. ولتحقيق ذلك، لا بد من فهم العمليات الإدراكية المتعلقة بالأمر. وسنقوم بتفسير بعض الأبحاث النفسية في هذا المجال، ثم نختم بمثالٍ يتم فيه نقض خرافةٍ شائعة.

التأثير العكسي المتأتي من الألفة The Familiarity Backfire Effect

لدحض خرافةٍ ما، يضطر المرء لتكرار ذكر الخرافة، وإلا فكيف يعرف الناس عن أي شيءٍ يدور الحديث؟ لكن هذا يؤدي إلى جعل الناس معتادين على تلك الخرافة فتصير مألوفةً بالنسبة لهم، مما يُسهّل توهّم صحتها وقبولها. هل يعني هذا أن دحض الخرافة قد يعزز الخرافة في عقول الناس؟

دليلك لدحض الخرافات

لفحص هذا الأثر العكسي، تم إجراء تجربةٍ قامت على عرض نشراتٍ مطبوعةٍ دحضت خرافاتٍ شائعةً عن مطعوم الإنفلونزا[5]. وبعد ذلك، طُلب إليهم التفريق بين الخرافات والوقائع، وقد تمكن الناس من الإجابة بشكلٍ صحيحٍ عندما طُرحت الأسئلة مباشرةً بُعيد قراءتهم للنشرة المطبوعة، وعند طرح السؤال بعد مضي 30 دقيقةً من قراءتهم النشرة، وُجد أن البعض أجاب بشكلٍ أسوأ مما أجاب قبل قراءة النشرة، فعملية الدحض نفسها أدت إلى تعزيز الخرافات.

إذًا، فالتأثير العكسي حقيقيٌ وموجود، والقوة التي تسيّره هي حقيقة أن الألفة والاعتياد يزيدان من فرص قبول المعلومة على أنها حقيقة. بُعيد قراءة النشرة، تمكّن الناس من تذكر التفاصيل التي دحضت الخرافة، فاستطاعوا بذلك تمييز الخرافة. ومع مرور الوقت، بهتت الذاكرة، وكل ما تبقى في أذهان الناس كان الخرافة وحدها دون الوسم الذي ميز لهم خطأها. وهذا أكثر تأثيرًا لدى البالغين الأكبر سنًا، بسبب أن ذاكرتهم أكثر عرضةً لنسيان التفاصيل.

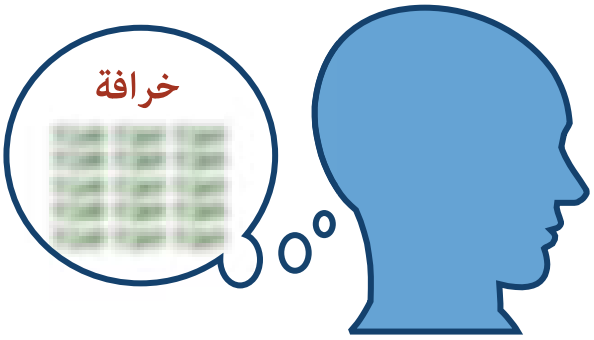

ما السبيل لتجنب التسبب في التأثير العكسي المتأتي من الألفة؟ الحل المثالي هو تجنب الإتيان على ذكر الخرافة التي يتم دحضها نهائيًا، فإن أراد المرء محاربة المعلومات المضللة، فأفضل السبل هو في التركيز على الوقائع (Facts) التي يريد المرء إيصالها للمتلقي.

لكن الإحجام عن ذكر الخرافة ليس خيارًا عمليًا في بعض الأحيان، وفي حال كان الأمر كذلك، فإن تركيز جهد الدحض يجب أن ينصبّ على الوقائع. فمثلًا يجب الابتعاد عن الأسلوب الذي يتبعه الكثيرون بوضع اسم الخرافة بخطٍ كبيرٍ

مثالٌ على دحض خرافةٍ تتعلق بالتغير المناخي

يتم التأكيد على الواقعة المحورية في العنوان	ظواهر الشمس والمناخ تسيران في اتجاهين متعارضين.
يتم تعزيز الوقائع المحورية في النص التقديمي	على مر العقود الأخيرة من الاحتباس الحراري، أظهرت الشمس نزعة برودٍ ضئيل. تسير ظواهر الشمس والمناخ في اتجاهات متعارضة. وهذا قاد عددًا من العلماء إلى أن يستنتجوا بشكلٍ مستقلٍ أن الشمس لا يمكن أن تكون السبب في الاحتباس الحراري الأخير.
خرافة	إن تصور أن الشمس هي السبب في الاحتباس الحراري يمثّل أحد أكثر الخرافات شيوعًا وانتشارًا في مجال المناخ.
تفسير الكيفية التي تضلل فيها الخرافة (التفسير البديل)	تختار هذه الخرافة من المعلومات ما يناسبها، عبر إظهار فترات كانت فيها حال الشمس تسير جنبًا إلى جنبٍ مع المناخ، لكنها تتجاهل العقود الأخيرة التي افترق فيها الحالان.

واضحٍ كجزءٍ من عنوان ما يكتبون، وبدلًا من ذلك، فالأفضل وضع الحقيقة المركزية التي يريد المرء إيصالها في العنوان، ذلك أن الدحض يبدأ بالتركيز على الوقائع، لا على الخرافة، والهدف يجب أن يكون زيادة ألفة القارئ بالوقائع.

التأثير العكسي المتأتي من الإفراط The Overkill Backfire Effect

إن أحد أهم المبادئ التي يفشل العديدون من ناشري العلم في اتّباعها يتمثل بعدم تقديم المحتوى العلمي بصورةٍ سهلة الهضم. وسهولة الهضم تشمل سهولة القراءة والفهم، وتشمل الإيجاز أيضًا. فالمعلومة التي يسهل على المتلقي معالجتها من السهل عليه تقبلها كحقيقة[7]. فمثلًا، بمجرد زيادة تباين لون الخط المطبوع بشكلٍ يُسهّل القراءة، سيزيد من قبول الناس لحقيقة المكتوب[9].

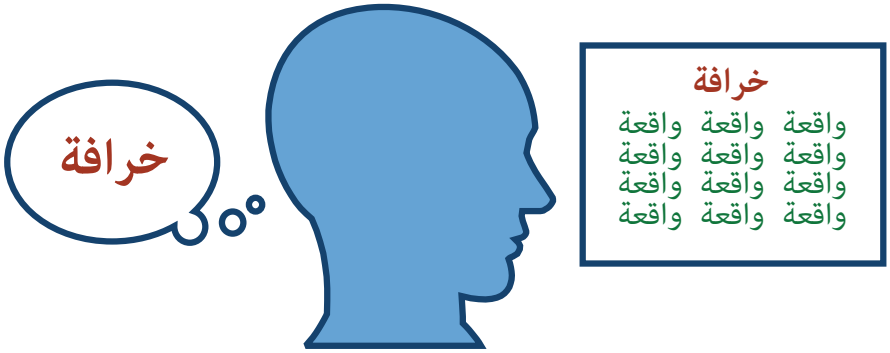

تنص الحكمة السائدة على أن نجاحك في دحض الأسطورة يزيد مع زيادة كم الحجج المضادة التي تُقدّمها، لكن

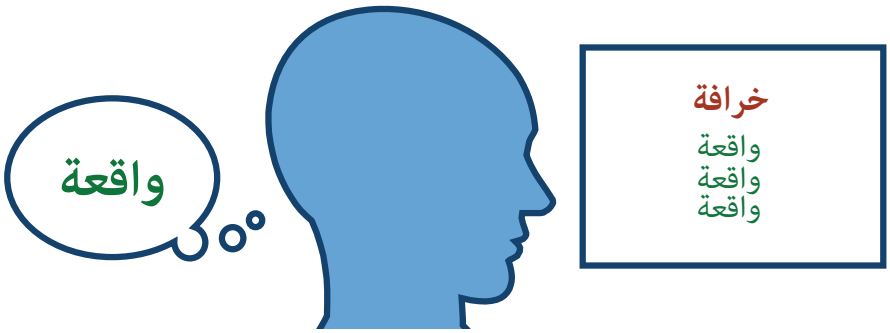

دليلك لدحض الخرافات

الواقع إن العكس صحيحٌ أحيانًا، فعندما تأتي المسألة إلى دحض الخرافات، تصحّ المقولة «ما قل ودل»، فتوليد ثلاث حججٍ ناقضةٍ مثلًا، قد يؤدي إلى فرص نجاحٍ أكبر من توليد 12 حجةً، ذلك أن هذا الوضع الأخير قد يعمل على تعزيز سوء الفهم الأولي[7].

وسبب حدوث التأثير العكسي المتأتي من الإفراط هو أن هضم ومعالجة الكثير من الحجج يستغرق جهدًا أكبر من دراسة عددٍ قليلٍ من الحجج، فالجاذبية الإدراكية لخرافةٍ بسيطةٍ تتغلب على جاذبية تصحيحٍ مُعقدٍ أكثر من اللزوم.

والحل هو إبقاء المحتوى المقدم مباشرًا وفعالًا وسهل القراءة، وجعل المحتوى سهل المعالجة يقتضي استعمال كل الأدوات المتاحة، من استعمالٍ للغة البسيطة، والجمل القصيرة والعناوين الفرعية والتقسيم إلى فقراتٍ والابتعاد عن اللغة الدرامية والتعليقات المحقرة التي تُنفّر الناس، إضافةً إلى ضرورة الاكتفاء بالوقائع.

والخاتمة يجب أن تكون رسالةً مؤثرةً بسيطةً يستطيع الناس تذكرها، كجملةٍ يسهل تناقلها بين الأصدقاء على وسائل التواصل الاجتماعي. مثلًا: «97 من كل 100 عالم مناخٍ يتفقون بأن البشر يتسببون في الاحتباس الحراري»؛ أو «تُظهر الدراسة أن المطعوم الثلاثي MMR (الحصبة، النكاف والحصبة الألمانية) آمن»، ويفضل استعمال الصور التوضيحية عند توفرها لإيضاح النقطة المطروحة.

لطالما اتّبع العلماء نموذج نقص المعلومات Information Deficit Model، والذي يوحي بأن الناس يملكون أفكارًا خاطئةً لعدم امتلاكهم كل المعلومات عن أمرٍ ما، لكن لزيادة كم المعلومات عن الحد أثرٌ عكسي. بدلًا من ذلك، الأفضل استعمال نموذج «القُبلة» KISS وهو اختصار جملة «أبقِ الأمر بسيطًا يا أبله!»* Keep It Simple, Stupid!.

التأثير العكسي المتأتي من التصور الحياتي للمرء The Worldview Backfire Effect

أما ثالث التأثيرات العكسية، ولربما كان أقواها أثرًا فيحدث في المواضيع التي تتصل بالتصور الحياتي للناس وحسّهم بالهوية الثقافية، إذ توجد عدة علمياتٍ إدراكيةٍ قد تتسبب في أن يعالج الناس المعلومات لاشعوريًا بطريقةٍ منحازة، فمواجهة المتمسكين بآرائهم بقوةٍ بحججٍ ناقضةٍ لتلك الآراء قد تؤدي إلى زيادة تمسكهم بها.

* القاعدة هنا قاعدةٌ عاميةٌ غير ملزمة، لكن فكرتها توخي البساطة حيث أمكن. [ملاحظة المترجم].

دليلك لدحض الخرافات

جانب من الاجتماع السنوي للNRA
يبلغ عدد أعضاء المنظمة حوالي 14 مليون أميركي

ويعدّ الانحياز التأكيدي Confirmation bias أحد العمليات الإدراكية التي تساهم في هذا التأثير، والذي يبحث المرء بمقتضاه انتقائيًا عن معلوماتٍ تُعزز من موقفه. ففي إحدى التجارب تم تقديم معلوماتٍ عن مواضيع ساخنةٍ في أميركا للمشاركين، مثل قوانين تنظيم السلاح، وقوانين التمييز الإيجابي* Affirmative action. وقد تم وسم كل مجموعة معلوماتٍ بمصدرها بشكلٍ يُظهر بجلاءٍ ما إذا كانت مع أو ضد (على سبيل المثال هل جاءت المعلومة من «اتحاد السلاح الوطني»** National Rifle Association، أم من «مواطنين ضد الأسلحة اليدوية» Citizens Against Handguns، ورغم وجود تعليماتٍ صريحةٍ بالتعامل العادل المتوازن مع المعلومات، فقد كان المشاركون ينتقون المصادر التي توافق آراءهم المسبقة، وقد وجدت تلك الدراسة أنه حتى بتقديم مجموعة وقائع متوازنة، فإن الناس يعزّزون آراءهم المسبقة عبر النزوع نحو معلوماتٍ يوافقون معها أصلًا. وقد كان الاستقطاب على أشده في صفوف من لديهم آراءٌ يتمسكون بها بشدة[10].

ما الذي يحدث عندما تزيل عامل الاختيار من خلال تقديم حججٍ تعارض التصور الحياتي للشخص؟ عند ذلك تتصدر عمليةٌ إدراكيةٌ أخرى الجبهة، وهي الانحياز النافي Disconfirmation Bias، وهي الجانب الآخر للانحياز التأكيدي Confirmation Bias، وهذه هي الحالية التي نرى فيها الناس يقضون وقتًا أطول ويستثمرون جهدًا فكريًا أكبر في محاولة نقض الحجج المعارضة[8].

نرى ذلك لدى أعضاء الحزب الجمهوري الأميركي الذين اعتقدوا أن صدّام حسين كان على صلةٍ بأحداث 11 سبتمبر/ أيلول الإرهابية، إذ تم إعطاؤهم أدلةً بانعدام تلك الصلة، بما في ذلك اقتباسًا مباشرًا على لسان الرئيس جورج بوش George Bush بذاته[11]. لكن فقط 2% من المشاركين غيّروا رأيهم (ومن المثير للاهتمام أن 14% منهم نفوا أنهم اعتقدوا بوجود تلك الصلة أصلًا). أما الغالبية العظمى منهم فقد أصرّوا على وجود صلةٍ بين العراق وأحداث 11 سبتمبر/ أيلول، مرتكزين على طيفٍ واسعٍ من الحجج بغية تحييد الأدلة، فكان الرد الأكثر شيوعًا يتمثل بتعزيز قوة موقفهم عبر استذكار الوقائع الداعمة لذلك الموقف وتجاهل المعارضة له. وقد كان لتصدّر الوقائع الداعمة الواجهة أثرًا مقويًا للمعتقدات الخاطئة للمشاركين.

---

* التمييز الإيجابي أو التصحيحي أو التأكيدي هو مبدأٌ في صياغة القوانين يهدف إلى تفضيل أقليات مهضومة الحقوق بإعطائها أولوية بهدف تصحيح نقص الحقوق أو التقليل من ظلمٍ واقعٍ عليها. [ملاحظة المترجم].

** اتحاد السلاح الوطني NRA هو أحد أقوى المجموعات الضاغطة في السياسة الأميركية. يأتي مصدر القوة من التعديل الثاني على الدستور الأميركي الذي يعطي الحق لكل أميركي باقتناء السلاح، لدرجةٍ صار معها جزءًا من الهوية الأميركية وموضوعًا ساخنًا باستمرار في السياسة والإعلام. [ملاحظة المترجم].

دليلك لدحض الخرافات

إن كانت الوقائع عاجزةً عن تغيير قناعة الشخص لترك معتقداته، بل قد تزيد الوضع سوءًا أحيانًا، فكيف يمكن التقليل من أثر المعلومات المضللة؟ ثمة مصدران للأمل هنا.

أولهما أن التأثير العكسي المتأتي من النظرة الحياتية للمرء يكون على أشدّه لدى من يتمسكون بآرائهم، مما يعني أن فرصة تصحيح المعلومات المضللة تكون أعلى في صفوف من لا يتمسكون بآرائهم بنفس الشدة في المواضيع الساخنة، أي أن فرص نجاح محاولات التواصل مع الجمهور تكون أعلى إذا ما وُجّهت نحو الأغلبية التي لم تحسم أمرها بعد، بدلًا من توجيهها نحو الأقلية ذات الرأي الجامد الذي لا يتغير.

أما ثانيهما فيتمثل في إمكانية تقديم الرسائل بطرقٍ تقلل من الممانعة النفسية المعتادة. فمثلًا، عندما تترافق الرسائل المهددة للتصور الحياتي للمرء بما يسمى بالتأكيد الذاتي Self-affirmation، فإن الناس يصيرون أكثر قابليةً لفحص مساوئ ومحاسن المعلومات بشكلٍ أكثر توازنًا[12، 13].

ومن الممكن تحقيق التأكيد الذاتي عبر سؤال الناس أن يكتبوا بضع جُملٍ عن وقتٍ شعروا فيه بالرضا عن أنفسهم بسبب تصرفهم في ظل إحدى القيم التي يعتبرونها مهمةً، في تلك اللحظة، يصيرون أكثر تقبلًا لرسائل قد تكون تحت ظروفٍ أخرى مهدِّدةً لتصورهم الحياتي، وذلك مقارنةً بمن لم يتلقوا أي تأكيدٍ ذاتي. ومن المثير للاهتمام أن «تأثير التأكيد الذاتي» Self-affirmation effect يكون في أقوى صوره لدى من تلعب الإيديولوجيا دورًا مركزيًا في حسّهم بقيمة ذاتهم.

ثمة طريقةٌ أخرى لجعل المعلومة أكثر قبولًا عبر وضعها في سياقٍ يصوّرها أقل تهديدًا لتصور المرء الحياتي. فعلى سبيل المثال، يميل الجمهوريون لقبول دفع رسومٍ يُروَّج لها تحت مسمى «تعويض الكربون»* Carbon offset لكنهم يرفضون نفس الرسوم إذا ما رُوّج لها تحت مسمى «ضريبة»، وبالمقارنة، فإن انتقاء الكلمات والصياغة لا تؤثر بنفس القدر على الديمقراطيين أو المستقلين، لأن تعبير «ضريبة» لا يتحدى قيمهم[14].

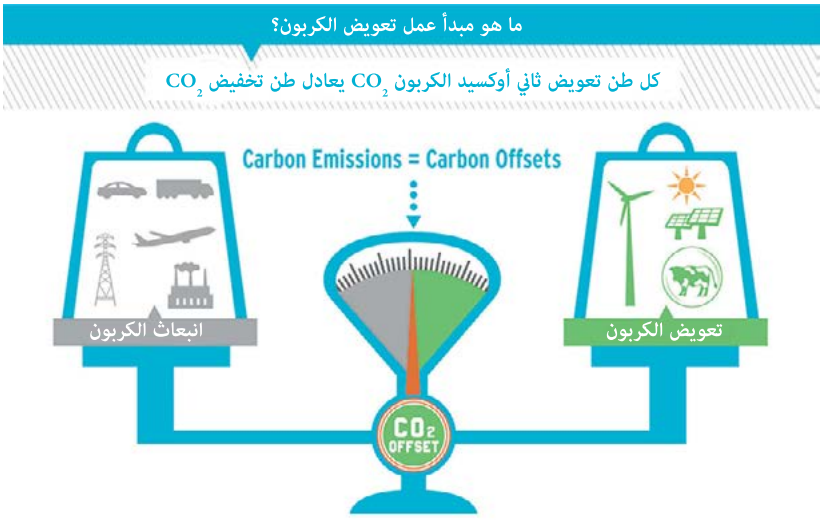

لا يهدف التأكيد الذاتي والسياق المناسب التلاعب بالناس، إنما الهدف إعطاء الوقائع فرصةً لتُسمع.

* تعويض الكربون هو تقليلٌ في انبعاث ثاني أوكسيد الكربون وغيره من غازات الدفيئة greenhouses gases بغية التعويض مكان انبعاثات غازاتٍ أخرى. [ملاحظة المترجم].

دليلك لدحض الخرافات

ملء الفجوة بتفسيرٍ بديل

لو افترضنا أنك تمكنت من التعاطي الناجح مع التأثيرات العكسية المتعددة، ما أنجع الطرق لدحض الخرافة؟ يكمن التحدي في حقيقة أنه متى ما دخلتْ المعلومة المضلِّلة حيز عقل المرء، تصير إزالتها صعبةً جدًا بغض النظر عما لو تقبّل المرءُ التصحيح.

وقد تم إظهار ذلك بتجربةٍ كان الناس يقرأون بمقتضاها قصةً وهميةً عن حريقٍ وقع في مستودع[15، 16، 3]، حيث تذكر القصة دهانًا وعبوات غازٍ إضافةً إلى متفجرات، لكن في سياق القصة يتم توضيح أن الدهان والعبوات لم يكونوا موجودين في الحريق. وحتى عندما تذكّر الناس هذه التفصيلة وتقبلوها، ظلوا يشيرون إلى الدهان والعبوات عند سؤالهم عن الحريق، فعندما سُئلوا: «ما سبب كل ذلك الدخان في رأيكم؟» كان الناس يستحضرون الدهان الزيتي، رغم إقرارهم أنه لم يكن حاضرًا.

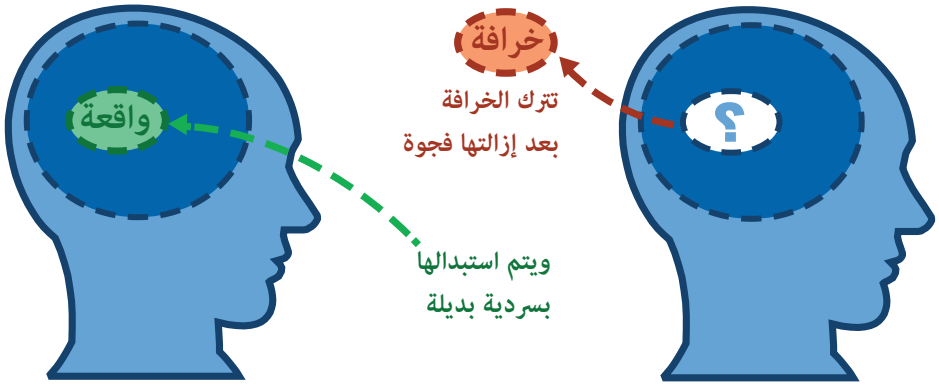

عندما يسمع الناس معلومةً مضلّلةً يقومون ببناء نموذجٍ ذهنيٍّ تُقدّم فيه الخرافة تفسيرًا، وعندما يتم دحض الخرافة تظل هناك فجوةٌ في نموذجهم الذهني، وللتعامل مع هذه المعضلة، يفضل الناس اللجوء إلى نموذجٍ خاطئٍ على استعمال نموذجٍ ناقص، فبغياب تفسيرٍ جيدٍ يختارون التفسير الخاطئ[17].

عندما كان يتم توفير تفسيرٍ بديلٍ يتعلق بوجود وقود ولّاعات (قدّاحات) ومادةٍ تُسرّع الاحتراق في تجربة القصة عن حريق المستودع، وُجد أن إشارة الناس للدهان وعبوات الغاز عند سؤالهم عن النار كانت أقل. فالطريق الأنجع لتقليل أثر المعلومة المضللة هو توفير تفسيرٍ بديلٍ للأحداث التي تغطيها المعلومة المضللة.

ويتم تبيان هذه الاستراتيجية بجلاءٍ خصوصًا في محاكمات جرائم القتل الوهمية، حيث أن إلقاء التهمة على متّهمٍ بديلٍ يقلل بشكلٍ كبيرٍ عدد الأحكام التي تجد المتهم مذنبًا من المشاركين الذين لعبوا دور هيئة المحلّفين (المكلفين بالحكم)، مقارنةً في الحالات التي يتمثل فيها الدفاع بشرح سبب براءة المتهم[18].

وحتى يتم قبول البديل، يحتاج البديل أن يتمكن من تفسير كل السمات المشاهدة للحادثة[19، 15]. عندما يدحض المرء

خرافةً، فإنه يخلق فجوةً في ذهن المتلقي، وحتى يكون الدحض فعالًا، يجب على فعل الدحض أن يشتمل على ملء تلك الفجوة.

إحدى الفجوات التي قد تطلب الملء هي تفسير سبب خطأ الخرافة، ومن الممكن تحقيق ذلك عبر الكشف عن الأساليب الخطابية التي استخدمت للتضليل. ويمكن أن نجد في الإنكار* Denialism مرجعًا لأساليب شائعةٍ تتبعها الحركات التي تنكر العلم، فما هي هذه الأساليب، وكيف يمكن للعلماء الرد عليها[20]؟ تشمل تلك الأساليب اختيار الحقائق بشكلٍ انتقائيٍّ واللجوء إلى نظريات المؤامرة والخبراء المزيفين.

وقد تتمثل السردية البديلة بتفسير الكيفية التي تروّج فيها المعلومة المضللة للخرافة، حيث وُجد أن إثارة الشك في مصدر المعلومة المضللة يؤثر في التقليل من تأثير تلك المعلومة[21، 22].

ويلعب التحذير الواضح الصريح من المعلومة المضللة دورًا في عملية التفنيد، كأن يقول المرء قبل ذكر الخرافة: «حاذر، فقد تكون هذه النقطة مضللةً»، وقد تبين من التجريب باستخدام أدوات تفنيدٍ متعددةٍ أن التوليفية الأنجع شملت توفير تفسيرٍ بديلٍ يرافقه تحذيرٌ صريح[17].

كما وللرسومات التوضيحية دورٌ هامٌ في عداد أدوات الداحض، ولها أثرٌ فعالٌ أكبر بكثيرٍ من النصوص البحتة في تحجيم الأمور التي يساء فهمها. عندما يقرأ الناس نقضًا يتعارض مع معتقداتهم، فإنهم يتمسكون بالنقاط الغامضة الملتبسة لبناء تفسيرٍ بديل، وتأتي الرسومات التوضيحية هنا لزيادة التوضيح وتقليل الفرصة لحدوث التباسٍ وسوء فهم. فعلى سبيل المثال، عندما تمت دراسة آراء من عرّفوا أنفسهم كجمهوريين حول معتقداتهم بصدد الاحتباس الحراري، فإن عدد من تقبّل الاحتباس الحراري كان أكبر حين أُعطوا رسمًا بيانيًا يوضح نزعات تغير الحرارة مقارنة بمن أُعطوا وصفًا مكتوبًا[13].

* يُقصد هنا بالإنكار الموقف الذي يتخذ المرء بشكلٍ ممنهج لتلافي حقيقةً مؤلمةً أو غير مريحة. [ملاحظة المترجم].

دليلك لدحض الخرافات

وجدت دراسةٌ مسحيةٌ أخرى أن الناس تمكنوا من تمييز نزعات زيادة الحرارة عندما أُعطوا بياناتٍ على شكل نقاطٍ تمثل الحرارة السطحية، وكانت تلك النتيجة صحيحةً بغض النظر عن رأي المشاركين في قضية الاحتباس الحراري.[23] إذًا، لو كان من الممكن تمثيل المحتوى الذي تريدون تقديمه على شكل رسمٍ توضيحي، فاللجوء لذلك سيكون خيارًا أفضل في عملية الدحض.

يقوم المثال التالي بدحض خرافة انعدام وجود إجماعٍ علميٍ حول دور الإنسان في التغير المناخي الحالي بسبب توقيع 31 ألف عالمٍ على عريضةٍ تنص على غياب أي دليلٍ على أثر النشاط البشري في إحداث خللٍ في المناخ.

واقعة أساسية تم إيصالها في العنوان

يوافق 97 من كل 100 خبير مناخ أن البشر هم السبب في الاحتباس الحراري

تم تعزيز الواقعة الأساسية في الفقرة الافتتاحية، ومن ثم شرحها بتفاصيل إضافية

وجدت عدة دراساتٍ مسحيّةٍ مستقلةٍ أن 97% من علماء المناخ الناشطين في نشر أبحاث مناخٍ تخضع لمراجعة الأقران أن البشر يتسببون في الاحتباس الحراري

الواقعة الأساسية مدعّمة برسم توضيحي

تحذير صريح ينبّه القارئ بأن الذي سيلي هو معلومةٌ مضللة، ويشير إلى طبيعة تلك المعلومة

علاوةً على هذا الإجماع الكاسح، فإن أكاديميات العلوم الوطنية في أرجاء العالم تصادق على رأي الإجماع القائل بأن البشر تسببوا في الاحتباس الحراري، وهو ما عبّرت عنه هيئة التغير المناخي الحكومية الدولية. (IPCC)

الخرافة

لكن لطالما سعت الحركات التي تنكر الإجماع العلمي لطرح شك بوجود الإجماع. وأحد أساليب ذلك يتمثل باستعمال خبراء زائفين، واقتباس علماء لا يملكون الخبرة في مجال معين.

تتمثل الفجوة التي يخلقها هذا الدحض في التساؤل عن كيفية وجود إجماع لو كان 31000 عالمًا منشقّين عنه. ويتم ملء الفجوة بتفسير أن غالبية هؤلاء العلماء ال31000 ليسوا علماء مناخ.

فمثلًا، يّدعي مشروع OISM عريضة أن 31000 عالم يختلف مع الإجماع العلمي حول الاحتباس الحراري.

لكن 99,9% من العلماء المذكورين في مشروع العريضة ليسوا من علماء المناخ. فالعريضة متاحةٌ لكل من يحمل شهادة البكالوريوس في العلوم أو ما يفوقها، وهذا يشمل الأطباء، والمهندسين الميكانيكيين وعلماء الحاسوب.

أجزاء الدحض الفعّال

والآن نجمع كل الخيوط معًا لنُكوّن نسيجًا واحدًا يصف متطلبات الدحض الفعّال:

1- **الوقائع الأساس**: على عملية النقض أن تركز على الوقائع، لا على الخرافة نفسها. على المرء تقديم الوقائع الأساسية لتجنب التأثير العكسي المتأتي من الإفراط.

2- **التحذيرات الصريحة**: وذلك بإيراد نصٍ أو رسمٍ يحذر من أن المعلومة التي ستلي خاطئة.

3- **التفسير البديل**: وذلك لملء أي فجوةٍ تتركها عملية الدحض، ويمكن تحقيق ذلك بتوفير تفسيرٍ سببيٍ بديلٍ يوضح سبب خطأ الخرافة وربما أيضًا دوافع من قاموا بالتضليل في ترويجهم للخرافة.

4- **الرسومات**: يجب عرض الوقائع الأساسية على شكل رسوماتٍ توضيحيةٍ كل ما أمكن ذلك.

تعقيب

والآن بعد أن قدّمنا لكم ترجمةً كاملةً للمقال الأصلي، لنقم بمحاولةٍ أوليةٍ لتطبيق ما جاء فيه لتحليل نموذجٍ من واقعنا العربي الإسلامي، ذلك أن المقال مكتوبٌ أصلًا لجمهورٍ غربي، لكن، رغم أن الكاتبين أستراليان، إلا أن الأمثلة الواردة تأتي من واقع المجتمع الأميركي في المجمل.

لن يرقى التعقيب الآتي حول إمكانية تطبيق ما جاء في هذا المقال على خرافة الإعجاز العلمي في القرآن إلى أكثر من محاولةٍ أوليةٍ نرجوا أن تكون محفزًا للمهتمين أن يحاولوا خوض غمار البحث الجاد فيها. ومن السذاجة ادّعاء أن مقالًا فيه مجموعة اقتراحاتٍ-مهما كانت مدروسةً-بمقدوره توفير حلٍ سحريٍ فوري، فهو ليس أكثر من نقطة بداية، وهي ليست حتى نقطة البداية الوحيدة المتاحة، وهذا علاوةً على كون خرافة الإعجاز لا تتعلق بخرافةٍ بعينها وإنما بفعل توهم الأشكال في غمام الآيات القرآنية، فدحض خرافةٍ أو عدة خرافاتٍ منها لن ينهي الظاهرة طالما وجد الدافع لاختلاق المزيد، وفي هذا السياق يمكن أن نميّز خرافتين منفصلتين مفاهيميًا: الأولى خرافة وجود أي محتوًى علميٍ مبهرٍ معجزٍ مخبّأٍ في القرآن (أو الحديث) من حيث المبدأ، والثانية تتعلق بالخرافات المفردة، كلٍ على حدة، والناظر إلى نقّاد الإعجاز العلمي يجد أن هنالك نقدًا موجودًا على الجبهتين.

بعد هذه التمهيدات، لنحاول إجمال حال خرافة الإعجاز العلمي اليوم.

إن أولى الملاحظات الموجودة هي أن خرافة الإعجاز العلمي اليوم ليست بذات القوة التي كانت عليها قبل عشرين عامًا، أو حتى عشرة أعوام، فمن الواضح أن هنالك تغيراتٍ حصلت على أرض الواقع أدت إلى تغييراتٍ في أساليب دعاة الإعجاز وإلى انحسارٍ في توسع تأثيرهم، ففي حين كنا نرى أمثال زغلول النجار يقدّمون محتواهم دون التعرض للنقد والمساءلة، بتنا نجدهم اليوم لا يُنتقدون وحسب، بل ويواجَهون علانيةً بالرفض والاستهزاء، هذا لا يعني أبدًا أننا نوهم أنفسنا بأن

دليلك لدحض الخرافات

خرافة الإعجاز العلمي في طريقها إلى الزوال، فأتباعهم كثرٌ ودعاة الإعجاز يبيعون منتَجًا ويربحون منه، أي أنهم لن يستسلموا عندما تبدأ طرقهم القديمة بالفشل، وسيبتدعون طرقًا جديدةً تتأقلم مع ما يواجهون من دحض. وهنا الأمر يشابه المثال الذي يورده المقال بصدد الرافضين لفكرة التغير المناخي، ذلك أن الأمر ليس مجرد سوء فهمٍ بريءٍ يمكن تصحيحه إن تواجدت نيةٌ صافيةٌ في المعرفة لدى جميع الأطراف، فوجود المصالح وخوف أصحابها من فقدانها يصعب عملية الدحض ويحولها إلى صراع، ذلك أن الرافضين للتغيير المناخي (كدعاة الإعجاز العلمي) لديهم مصلحةٌ ماديةٌ في الأمر، فكثيرٌ منهم يرتبطون بشركاتٍ وصناعاتٍ تتسبب في التأثير السلبي على البيئة.

لقد ابتدأ المقال بدحض خرافة أن حشو العقل بالمعلومات المصحِحَة بحد ذاته لن يؤدي إلى استنارةٍ تلقائيةٍ ينبذ الناس من خلالها الخرافة من أذهانهم. ولكن مما قد نلاحظه في السنوات الأخيرة انتشار منصاتٍ تكنولوجيةٍ تُسهّل نشر المعلومات وتناقلها، بل وانتشار مبادرات الدحض ونقد الخرافات على تلك المنصات، لذا في الظاهر قد يبدو أن توفير المعلومات الصحيحة كان فيه بعض الدواء، لكن حقيقة وجود بعض الانحسار في نفوذ مزاعم الإعجاز العلمي يعني أن عملية الدحض كانت، ولو جزئيًا فعالةً.

إحدى المحاذير التي يذكرها المقال تتعلق بمحاولة تجنب إعطاء الخرافة حيزًا كبيرًا في خطاب الدحض نفسه، ذلك أن الإكثار من ذكر الخرافة فيه نوعٌ من التعزيز وزيادة ألفة الخرافة في أذهان الناس، لكن لنلاحظ الحاصل هنا في نقد الإعجاز العلمي أو الدين عمومًا في الواقع العربي اليوم. فالإعجاز العلمي له آليةٌ دعائيةٌ إعلاميةٌ قويةٌ مدعومةٌ ماديًا بشكل ممتاز*، وفي مقابله نجد جهودًا شبه شعبيةٍ غير مدعومةٍ ماديًا في الغالب، تستعمل مزايا المنصات التكنولوجية المجانية أو الزهيدة في تقديم محتوًى مضادٍ ناقدٍ ومؤثرٍ أدّى إلى خلق سجالٍ مع دعاة الإعجاز، يقومون من خلاله بالرد على النقد مما يدفع النقاد للرد، وهكذا. هذه الحلقة تديم ذكر الخرافة لا محالة ومن الصعب تجنب ذلك، لكنها أيضًا

* قامت مجلة الملحدين العرب في العدد 77 بنشر مقالٍ مترجمٍ بعنوان «الدور المحوري الذي لعبه علماء غربيون في الترويج للإعجاز القرآني» لدانييل غولدن. يتناول ذلك المقال جوانب من عمليات الخداع المنظم الذي يقوم به دعاة الإعجاز العلمي وعلى رأسهم عبد المجيد الزنداني.

العقل دين

هل فرشتَ العشبَ ليلًا وتلحَّفتَ الفضاء
زاهدًا فيما سيأتي ناسيًا ما قد مضى

منطقة حرة لا ضرائب فيها على التفكير، تختفي هالات القدسية هنا ويتساوى الجميع.

/MINDREL
@MindisReligion
mind-den.blogspot.com

دليلك لدحض الخرافات

تديم ذكر النقد وتشيعه، فبدلًا من أن يكون «الرد على الشبهات» بحسب مصطلحات أهل الدين إغلاقًا حاسمًا لباب النقد، يكون في الواقع منصةً جدليةً (ديالكتيكية) لتوليد المزيد من الردود والردود المقابلة وإيصال النقد إلى من كان مطمئنًا إلى الخرافة قبل ذلك. هذا لا يعني طبعًا أن إيصال الردود سيفعل فعلًا سحريًا في عقول الأتباع، لكنه قد يُعرّض بعضهم إلى نقدٍ قد يجده مقبولًا. لذا، فمثلما أي حركةٍ جدلية، سينمو خطاب الطرفين ويتطور لأن المواقف الأصلية تتآكل وتتأقلم مع موقف الطرف الآخر، وهذا يفرض على المتابع إعمال عقله، حتى ولو كانت النتيجة سلبيةً في كثيرٍ من الأحيان تمسكًا بما يدافع عنه.

لكن الاستماتة في التمسك بخرافة الإعجاز العلمي لا تأتي فقط من المتنفعين ماديًا، فهم يبيعون منتجًا له زبائنه، وهؤلاء الزبائن يشترون مخدرًا يطمئنهم بأن تصورهم الحياتي World-view بخير، وأن هويتهم كمسلمين وعربٍ في هذا العصر الذي فضح مساوئ فكرهم لا زالت متفوقةً على من تفوقوا فعليًا عليهم، وهذا أحد التأثيرات العكسية التي أشار إليها المقال، ذلك أن نقّاد الإعجاز العلمي والدين عمومًا، حتى لو توخّوا النقد الناعم المبطن، يقومون بتهديد مبنى التصور الحياتي للمسلم النموذجي، وما يزيد الأمر صعوبةً أن هؤلاء النقاد في العادة لا يملكون تقديم بديلٍ واضحٍ لذلك التصور الحياتي، والحديث هنا عن بديلٍ للتصور الحياتي ككل، لا عن الخرافة فقط كما يشير المقال، ذلك أن دحض الإعجاز العلمي في ذهنية الكثير من المسلمين يرقى إلى مرتبة هدم دينهم وهويتهم وإحساسهم بالقيمة، لذا، لا عجب أن نرى التمسك المستميت به.

رغم ذلك، فليس كل من ينقد يُقدّم نقدًا لاذعًا صريحًا مباشرًا، حيث يعتبر البعض أن التثقيف غير المباشر كفيلٌ بفتح العقول. هذا بالفعل يتجنب ذكر الخرافة ويركز على عرض نظرةٍ بديلةٍ دون حدوث صدامٍ إلا ما قد يحدث كتفاعلٍ للطرفين في ذهن المتلقي. وهذا المسلك يختلف معه الكثيرون، لكونه غير مباشر، ويتعامل مع العرض لا المرض، إضافةً لكون تأثيره أقل مما يرجوه المرء، ذلك أن البديل إن هدّد تصور المرء الحياتي، سيكون على المرء لزامًا تفسير هذا البديل إن تقبّله بطريقةٍ منحرفةٍ تقلل التوتر الذي سينتج من التناقض بين البديل وما هو موجودٌ في ذهن المرء.

لكن هذا الأسلوب غير المباشر فيه مغالاةٌ في تلافي الصدام، فهو وإن كان يساهم في زرع بذور الشك في عقول البعض (وهو مكوِّنٌ أساسيٌ كما يذكر المقال)، إلا أن مدى تأثيره ليس واضحًا، وليس من العجيب أن نرى أنه يسبب إحباطًا لمن كان متحمسًا. والأسلوب الأنجع يحتاج أن يكون موجّهًا ومدروسًا أكثر، كما هو حال مقترحات هذا المقال، فلا يبالغ في تجنب الموضوع، ولا يهاجمه بتهورٍ منفر.

دليلك لدحض الخرافات

طبعًا، علينا أن نتذكر أن الإعجاز العلمي هو وليد القرن العشرين فعليًا، فرغم وجوده منذ القديم في تفسيرات بعض المسلمين، إلا أنه لم يلعب أي دورٍ مفصليٍ إلا بعد زيادة حدة المواجهة الحضارية التي نشهدها اليوم بين المسلمين والغرب، حيث صار الإعجاز العلمي خط دفاعٍ عن الهوية القديمة بحلّتها الجديدة، لذا فليس من المستحيل من حيث المبدأ أن ينحسر تأثيره ليحل محله شيءٌ آخر، وحتى دون حدوث تغيّرٍ جذريٍ بهذا الصدد، نجد اليوم مسلمين من شتى الانتماءات يرفضون فكرة الإعجاز العلمي لأسبابٍ متعددة، أي أنه ليس ملازمًا ضروريًا للهوية الإسلامية الحديثة.

ثمة الكثير ليقال بصدد تفاصيل الأساليب المقترحة في المقال في تطبيقٍ محتملٍ على بعض جوانب الإعجاز العلمي، فالتعقيب لم يذكر أي حالاتٍ محددةٍ واقتصرتُ فيه على ذكر العموميات. سأكتفي هنا بهذا القدر، وأتمنى أن يثير ذلك اهتمام آخرين للتفكير والإضافة.

جون كوك John Cook: هو أستاذ بحث مساعد في مركز اتصال التغير المناخي Center for Climate Change Communication في جامعة جورج ميسون George Mason University الأميركية.

ستيفن ليوانداوسكي Stephan Lewndowsky: عالم نفس أسترالي عمل في أستراليا والولايات المتحدة ويعمل حاليًا في جامعة بريستول University of Bristol البريطانية، حيث يرأس قسم علم النفس الإدراكي.

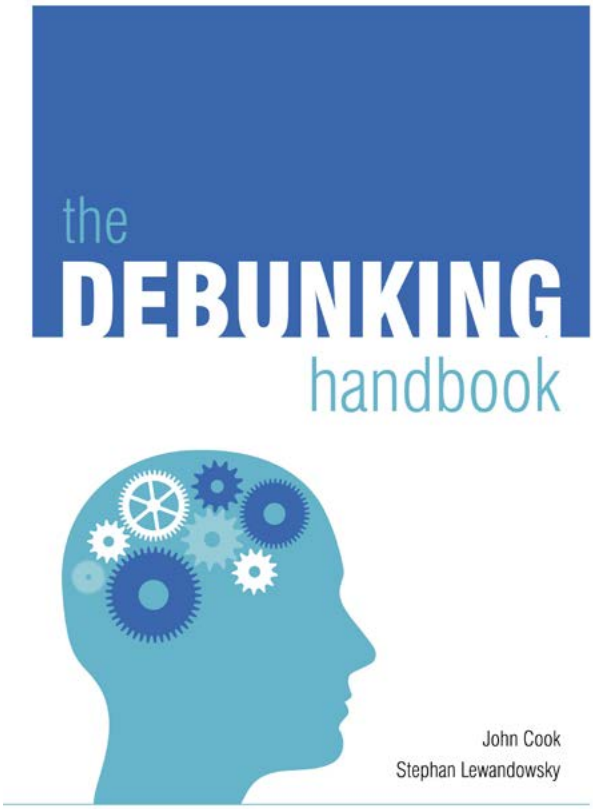

قام بالترجمة وكتابة التقديم والتعقيب: **أسامة البني (الورّاق)**

العنوان الأصلي للبحث: The Debunking Handbook، وتم نشره بالإنجليزية عام 2011 ثم أعيد نشر نسخةٍ منقحةٍ منه عام 2012. وتمت ترجمته إلى 12 لغة (بالإضافة إلى ترجمتنا العربية هنا). موقع الكتاب على الإنترنت والمزيد عن التعامل مع التشكيك في العلم وفي ظاهرة التغير المناخي تحديدًا على موقع Skeptical Science:

http://sks.to/debunk

مصادر ومراجع البحث

1. Jacques, P. J., & Dunlap, R. E. (2008). The organisation of denial: Conservative think tanks and environmental skepticism. *Environmental Politics*, 17, 349-385.

2. Oreskes, N., & Conway, E. M. (2010). *Merchants of doubt*. Bloomsbury Publishing.

3. Johnson, H. M., & Seifert, C. M. (1994). Sources of the continued influence effect: When discredited information in memory affects later inferences. J*ournal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition*, 20 (6), 1420-1436.

4. Ecker, U. K., Lewandowsky, S., Swire, B., & Chang, D. (2011). Correcting false information in memory: Manipulating the strength of misinformation encoding and its retraction. *Psychonomic Bulletin & Review*, 18, 570-578.

5. Skurnik, I., Yoon, C., Park, D., & Schwarz, N. (2005). How warnings about false claims become recommendations. *Journal of Consumer Research*, 31, 713-724.

6. Weaver, K., Garcia, S. M., Schwarz, N., & Miller, D. T. (2007). Inferring the popularity of an opinion from its familiarity: A repetitive voice sounds like a chorus. *Journal of Personality and Social Psychology*, 92, 821- 833.

7. Schwarz, N., Sanna, L., Skurnik, I., & Yoon, C. (2007). Metacognitive experiences and the intricacies of setting people straight:Implications for debiasing and public information campaigns. *Advances in Experimental Social Psychology*, 39, 127-161.

8. Nyhan, B., & Reifler, J. (2010). When Corrections Fail: The Persistence of Political Misperceptions. *Political Behavior*, 32, 303-330.

9. Reber, R., Schwarz, N. (1999). Effects of Perceptual Fluency on Judgments of Truth, Consciousness and Cognition, 8, 338-3426.

10. Taber, C. S., & Lodge, M. (2006). Motivated skepticism in the evaluation of political beliefs. *American Journal of Political Science*, 50, 755–69.

11. Prasad, M., Perrin, A. J., Bezila, K., Hoffman, S. G., Kindleberger, K., Manturuk, K., et al. (2009). "There Must Be a Reason": Osama, Saddam, and Inferred Justification. *Sociological Inquiry*, 79, 142-162.

12. Cohen, G. L., Sherman, D. K., Bastardi, A., Hsu, L., & McGoey, M. (2007). Bridging the Partisan Divide: Self-Affirmation Reduces Ideological Closed-Mindedness and Inflexibility in Negotiation. *Personality & Soc. Psych.*, 93, 415-430.

13. Nyhan, B., & Reifler, J. (2011). Opening the Political Mind? The effects of self-affirmation and graphical information on factual misperceptions. In press.

14. Hardisty, D. J., Johnson, E. J. & Weber, E. U. (2010). A Dirty Word or a Dirty World?: Attribute Framing, Political Affiliation, and Query Theory, *Psychological Science*, 21, 86-92

15. Seifert, C. M. (2002). The continued influence of misinformation in memory: What makes a correction effective? *The Psychology of Learning and Motivation*, 41, 265-292.

16.Wilkes, A. L.; Leatherbarrow, M. (1988). Editing episodic memory following the identification of error, *The Quarterly Journal of Experimental Psychology A: Human Experimental Psychology*, 40A, 361-387.

17. Ecker, U. K., Lewandowsky, S., & Tang, D. T. (2011). Explicit warnings reduce but do not eliminate the continued influence of misinformation. *Memory & Cognition*, 38, 1087-1100.

18. Tenney, E. R., Cleary, H. M., & Spellman, B. A. (2009). Unpacking the doubt in "Beyond a reasonable doubt:" Plausible alternative stories increase not guilty verdicts. *Basic and Applied Social Psychology*, 31, 1-8.

19. Rapp, D. N., & Kendeou, P. (2007). Revising what readers know: Updating text representations during narrative comprehension. *Memory & Cognition*, 35, 2019-2032.

20. Diethelm, P., & McKee, M. (2009). Denialism: what is it and how should scientists respond? *European Journal of Public Health*, 19, 2-4.

21.Lewandowsky, S., Stritzke, W. G., Oberauer, K., & Morales, M. (2005). Memory for fact, fiction and misinformation: The Iraq War 2003. *Psychological Science*, 16, 190-195.

22. Lewandowsky, S., & Stritzke, W. G. K., Oberauer, K., & Morales, M. (2009). Misinformation and the 'War on Terror': When memory turns fiction into fact. In W. G. K. Stritzke, S. Lewandowsky, D. Denemark, J. Clare, & F. Morgan (Eds.), *Terrorism and torture: An interdisciplinary perspective* (pp. 179-203). Cambridge, UK: Cambridge University Press.

23. Lewandowsky, S. (2011). Popular consensus: Climate change set to continue. *Psychological Science*, 22, 460- 463.

مجلس المسلمين السابقين في بريطانيا

Council of Ex-Muslims of Britain

www.ex-muslim.org.uk

بتركنا الإسلام نكسر محرّماته، لكننا في ذات الوقت نعمل على تدعيم العقلانية والحقوق والقيم العالمية والعلمانية. وفي نشاطنا نطالب بما يلي:

بالحقوق العالمية والتساوي في المواطنة بين الجميع.

بالحرية في نقد الدين.

بالحرية الدينية والإلحاد.

فصل الدين عن الدولة والنظامين، القانوني والتعليمي

حظر الممارسات والعادات والقواعد الدينية التي تنتهك حقوق الناس وتضيق على حرّياتهم.

إزالة كل العادات الدينية التي تضطهد المرأة وتنتقص من حقوقها واستقلالها، وحظر فصل الجنسين.

حظر التدخل من قبل أية سلطة عائلية أو رسمية في الحياة الشخصية والعاطفية والجنسية للناس.

حماية الأطفال من التلاعب بهم والإساءة إليهم من قبل الدين والمؤسسات الدينية.

حظر الدعم الرسمي للدين سواء المادي أو المعنوي.

حظر جميع أنواع التخويف والتهديد الديني.

لقائي مع الله

وليد

وليد

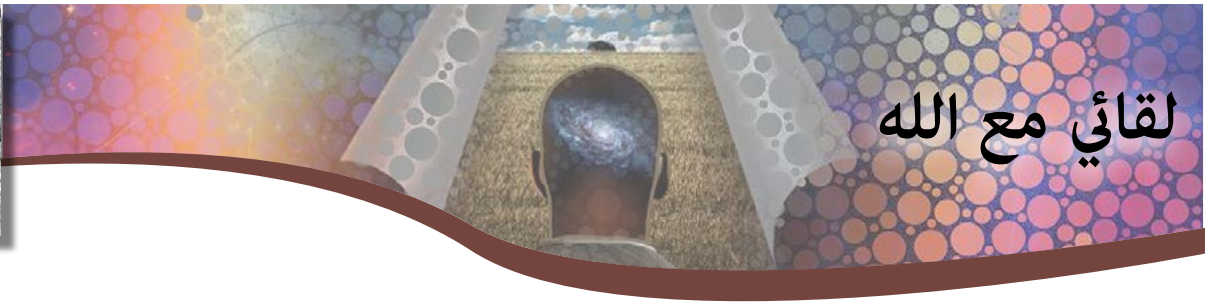

قصة قصيرة بقلم وليد (من منتدى شبكة الملحدين العرب)
مجموعة القصص التي تأتي منها هذه القصة كتبها العضو وليد وقام بتجميعها مارسيل

إلى وليد ... القلم الساحر والمبدع ... جليس الآلهة مع التحية والود ...
مارسيل..

شبكة الملحدين العرب
Arab Atheists Network

إنّ أكثر ما تمنيته هو أن أتحدّث مع الله، وعندما جاء شهر رمضان قلت لنفسي لماذا لا أحاول؟ سألت، كيف كان الذين التقوا مع الله؟ قالوا: إنّ الله يحب أن يبدأ اللقاء من فوق جبلٍ فقد صعد موسى الجبل ليكلم الله وتلقّى محمّدٌ الوحي في غار حراء، وكلّم إبراهيمُ الله وهو على جبل، فقلت في نفسي سأذهب إلى أعلى نقطةٍ في القاهرة، في مكانٍ لا يصل إليه أحدٌ وانتظر لقاءً أو رسولًا أو وسيطًا، وفي كلّ رمضان كانت محاولاتي تبوء بالفشل.

قرّرت هذه السنة ألاّ أرجع من المرتفع حتى أضع حدًا لرغبتي تلك - التي لا تفارقني- لمعرفة الحقيقة التي لن يحسمها إلّا اللقاء، وقبل الفجر بينما كنت نائمًا جاءني إحساسٌ بأن شيئًا ما أصبح يقلقني، أحسست بنبضات قلبي تتسارع ونفَسي ينقبض فصحوت لأجد من يبتسم لي، كان إنسانًا عاديًا.

قلت له: كيف جئتَ إلى هنا؟

قال: أحببَت لقاء الله من قلبك فأحب الله لقاءك.

قلت: ومن أنت؟ هل أنت جبريل؟

قال: جبريل! لا، سيدي لست جبريل، مَن جبريل هذا؟

قلت: أعلم أنه سفير الله إلى البشر.

قال: لا أعلم، لكني أريدك أن تأتي معي الآن.

قلت: إلى أين؟

وليد

لقائي مع الله

قال: إلى الله.

قلت: أحدنا أصابه الجنون.

قال: لست أنا بالتأكيد، لكن أسرِع لأني لا أريد التأخر، كما أنّ الله لا يوجد لديه وقتٌ للقائك إلاّ الآن.

قلت: بما أنني المجنون الوحيد فسأصدقك.

قال: اركب معي.

قلت: أركب ماذا؟ هل معك البراق؟ أنا لا أرى بغالًا.

قال: لم تخطئ عندما وصفت نفسك بالمجنون، هل سنذهب إلى الله على بغل؟!

قلت: معلوماتي هكذا عن آخر رحلةٍ إلى الله.

قال: هل ستأتي أم أتركك؟ إنك تتكلم كثيرًا.

قلت: لا أتركك أبدًا، لقد انتظرت تلك اللحظة منذ عشر سنوات، أين مركوبك يا سيدي؟ ما اسمك؟

قال: لا يهمك اسمي أنا دوري مرشدٌ للطريق، اتبعني.

مشيت وراءه وكأنني أحلم، فتح باب سيارةٍ غريبةٍ ودخل ثم فتح لي الباب الآخر، دخلت وكانت كالأطباق الطائرة ولكنها تشبه سيارةً من نوع مكلارين.

قال: اربط حزامك.

قلت: هل تمزح؟

ضحك وقال: هذه المرة نعم.

انطلقت السيارة، أحسست أنني أسيرُ بسرعةٍ أسرع من الضوء، أحسست وكأن روحي تخرج، وضغطُ دمي ينخفض وكأنني أحلّق في فراغ، وعقلي تائهٌ في بحرٍ من الأفكار غير المفهومة، لا أستطيع التركيز كأنني أستفيق من تخديرٍ كلّي.

لعبتْ يده في جهازٍ راديويّ في السيارة، سمعت أصواتًا غير مفهومةٍ مخيفةٍ أصابتني بالذعر وأحسست قلبي يخفق وكأنه يضخ الدماء في اتجاهٍ واحد، زفيرٌ بلا شهيق.

قلت: كم من الوقت ستستغرق الرحلة؟

قال: لا شيء.

قلت: ولكن مضى وقتٌ كثير.

وليد

لقائي مع الله

قال: نحن في انتظار الإذن لنا بالهبوط في الأرض المقدسة.

قلت: وما هي تلك الأرض؟

قال: حيث عرش الله.

قلت: نعم أعرفه، ألا يحمله ثمانية ملائكةٍ ويحفّون حول العرش؟

قال: الله يحمله ثمانية ماذا؟

قلت: ملائكة، ألست ملاكًا؟

قال: اسمع أيها الإنسان، لا يوجد من يستطيع حمل عرش الله، كما أنّ عرشه لا يحتاج إلى من يحمله، لأن الله يستطيع تحريكه بدون أي مساعدة، هل أنت من أراد رؤية الله وتظن أنه يستعمل تلك الكائنات لمساعدته حتى يجلس؟

قلت: لا تؤاخذني فمعلوماتي قديمةٌ منذ 1400 سنة، يبدوا أنكم تتطورون مثلنا.

قال: نتطور مثلكم؟ ومن تظن نفسك أصلًا؟

قلت: لا عليك إذا لم تكن ملاكًا فمن أنت؟ وإذا كان الله لا يحتاج مساعدةً فماذا تفعل؟

قال: ستعرف كل هذا عندما تقابل الله، لا تتعجل.

جاءت كلماتٌ غريبةٌ في المستقبِل الراديوي الذي يرعبني صوته، ويبدو أنه الإذن بالهبوط في الأرض المقدسة.

فجأةً اختفى كلّ شيء، وجدتني في مكانٍ وكأنه سردابٌ من المجهول يتحرك أمامي ولا أُحسّ بأي شيءٍ سوى أنني لا أملك ما أفعله عدا الانتظار، اختفى هذا الكائن وسيارته قبل أن يعترف لي بحقيقته وها أنا ذا في عالمٍ لا أفهمه ثم... وكأنك أطفأت كل الأصوات التي في العالم... هدوءٌ وسكوتٌ بلا حدود، وجاءني صوتٌ فخيم...

قال: وليد.

ارتعبت وارتعشتْ أوصالي وأحسست بقشعريرةٍ تسري في جسدي.

قلت: نعم أنا.

قال: ماذا تريد؟

قلت: أريد أن أتحدث إلى الله.

قال: إنني أنا الله.

وضحكَ...

أحسست أن رجلاي لا تستطيعان حملي، ورغبت أن أسجد أو أقع على ركبتيّ، ضحكته كانت فخيمةً ولكنها مريحة.

وليد

لقائي مع الله

قلت: هل أنت الله حقًا؟

قال: هل تريد دليلًا؟

قلت: ليس تمامًا لكني في الواقع لا أفهم ما يدور حولي، لقد كنت منذ نصف ساعةٍ نائمًا والآن أنا أتكلم مع الله، إنني مرعوب.

قال: ستشعر بالطمأنينة الآن، اهدأ.

أحسست كأن جسدي تسري به الحياة من جديد، وبأنني أستعيد كل قواي.

قال: اطمأننت الآن؟

قلت: نعم.

قال: ماذا تريد مني؟

قلت: ألست الله؟ المفروض أنك تعرف حتى ما في نفسي.

قال: نعم، تريد أن تعرف الحقائق.

قلت: نعم، لماذا الأرض؟ لماذا البشر؟ الحيوانات الكواكب؟ لماذا كل شيء؟ هل هناك رسل؟ أديان، حياةٌ أخرى؟ جنة؟ نار؟

قال: مهلًا مهلًا، أعلم كل ما تريد، سأشرح لك.

قلت: ولكنني لا أرى هنا سوى فراغ، لا أراك ولا أرى أي شيءٍ هنا.

قال: أنا لست محدودًا لكي تراني.

قلت: ولماذا جئت بي إلى هنا؟ ولماذا هذه الرحلة؟ وما هي تلك الأرض المقدسة؟ ومن هو ذلك الكائن الذي كان معي؟ ولماذا أرسلت إلينا رسلًا ولماذا أوقفت رسلك إلينا؟

قال: جئت بك إلى هنا لأنك لا تستطيع سماعي إلاّ هنا، وتلك البقعة التي تستطيع المخلوقات الأخرى الحديث إليّ منها اسمها الأرض المقدّسة، أمّا الكون والرسل فسأشرح لك، أولًا لماذا أنت هنا أو هناك على الأرض؟ قل لي يا وليد هل ترى القاهرة كبيرةً؟

قلت: نعم.

قال: من بنى القاهرة.

قلت: جوهر الصقلي.

قال: لم أقصد، إنّما قصدت أنّ الإنسان هو الذي بناها بالرغم من أنك تراها كبيرةً.

قلت: هي كبيرةٌ نسبيًا ولكنها في قدرات البشر.

قال: لو أخذت جزءًا من جسدك في حجم كرة الدم الحمراء

وليد

لقائي مع الله

وجعلت لها نفس قدراتك هل تستطيع بحجمها هذا بناء القاهرة؟

قلت: لا أعتقد، فالفرق رهيب، فانا لا أراها بعيني، فحجم إبرة الدبوس يحتوي على الملايين منها.

قال: إذًا الموضوع موضوع حجمٍ وقدرة.

قلت: ماذا تقصد؟

قال: قلت لك إنني غير محدودٍ لتراني.

قلت: نعم.

قال: هل تستطيع كرية الدم هذه رؤيتك مرةً واحدةً؟

قلت: هي بداخلي ولا تستطيع لِفارق الحجم... آه فهمت تريد أن تقول إنك كبيرٌ جدًا لدرجة أنني لا أستطيع رؤية سوى جزءٍ يسيرٍ منك على قدر حجمي لكن حتى هذا الجزء لا أراه.

قال: بل تراه.

قلت: أين هو؟

قال: هل ترى كل هذا الفراغ الكبير في الكون الذي سميتموه سماءً؟

قلت: نعم.

قال: لأُقرّبه إلى ذهنك، يمكنك تشبيهه بالدم الذي في جسدك.

قلت: تقصد أنك أنت هذا الكون؟

قال: لا تتعجل، إنك تراني في هذه السماء لكنك لا تدركني.

قلت: فهمت، وماذا عن الكواكب والمجرات وغيرها؟ والأهم من ذلك كله أنا... هل ستعذبني بعد الموت؟ أراك رحيمًا، أرى من كلامك أنك أفضل كثيرًا من تلك الصورة التي في ذهني.

قال: أنت لا تريد الصبر أنا فعلًا لن أعذب أحدًا.

قلت: إذًا اسمح لي أن أسألك سؤالًا مباشرًا يؤرقني، لماذا خلقتني؟ أقصد البشر طبعًا.

قال: لن تفهم حتى نكمل الموضوع أولًا.

قلت: كلي آذانٌ صاغية...

قال: هذا الكون الذي تراه هو جزءٌ مني، ولكنك لا تراني كلي لفارق حجمي عن مدى رؤيتك والأرض بداخلي والمجرات وسائر الكواكب والشموس كلها جزءٌ مني وتكبر معي وتمرض معي وأحيانًا قد تذبل وتموت ولكنني قادرٌ على الاستمرار والنمو.

قلت: تمرض! وهل تمرض؟ تصورت أنك لا تصاب بأذًى.

قال: لا، إنّ الموت والحياة لا معنى لهما عندي فالمرض موجودٌ ولكن لا يؤثر فيّ كما يؤثر فيك، كما أنني أنمو وأكبر وأضيف إلى نفسي باستمرار، فقد كنت في فترةٍ من الفترات أصغر حجمًا من الآن كثيرًا ولكنني أضفت أجزاءَ جديدةً إليّ جعلتني أكبر وأزداد حجمًا.

وليد

لقائي مع الله

قلت: لكن لماذا خلقت الإنسان؟ لم تجاوبني.

قال: أنا لم أخلق الإنسان فقط، أنا خلقت كائناتٍ كثيرةً جدًا.

قلت: نعم، لكنني مهتمٌ ببني جنسي.

قال: إنّ الغرض من الخلق واحدٌ للكل فالإنسان ليس مميزًا عندي عن بقية الكائنات.

قلت: إذًا لماذا كل هذا التنوع الرهيب على الأرض فقط؟ بينما بقية الكون فارغ، كنت أتخيل أنّ الكون بكل هذا الاتساع يجب أن يحتوي على الكثير من أمثالنا.

قال: كلامك خاطئ، لأنني لم أخلق الكائنات لجعلها على الكواكب.

قلت: إذًا لماذا خلقتنا على الأرض فقط؟

قال: إن الغرض من الخلق هو التجربة، فأنا أخلق شبيهً لي في تكويني لكن بحجمٍ أقل من حجمي وأعرّضه للتجارب كي أحوّله إلى كائنٍ أعقد قادرٍ على التوسع، فكما قلت لك كنت أنا نفسي أصغر حجمًا وأردت الازدياد فخلقت شبيهً لي تدعونه أنتم الخلية الحية.

قلت: إذا أنت خلقت الخلية على شاكلتك عندما كنت في البداية فهي تعبّر عنك في بدايتك؟

قال: نعم، ثم بدأت أُعرّض هذه الخلية لتجارب عدةٍ حتى تتحول إلى أشكالٍ أعقد وأكبر بتجميعها في مستعمراتٍ واتحادها مع بعضها لتُشكّل كائناتٍ متعددة الخلايا أكبر حجمًا، وعندما أصل إلى أفضل وضعٍ أطبّق هذا الأمر بشكلٍ أكبر على نفسي لأصِلَ لصورةٍ أفضل من التعقيد والحجم والتنظيم والاستقرار والتفاعل بين أجزائي الداخلية كما تراها أنت مصغرةً جدًا داخل الخلية أو ما هو أكبر منها.

قلت: الآن فهمت، أي أننا مثل حيوانات التجارب التي يجري عليها الإنسان أبحاثه للوصول إلى دواءٍ أو نتيجةٍ معينة.

قال: الأمر شبيهٌ بهذا.

قلت: إذًا هذا هو السبب في وجود الكائنات على الأرض فقط؟ والتنوع الرهيب هو عبارةٌ عن نهاية تجربة؟

قال: نعم، لذلك تلاحظ التطور بين الكائنات وتدرجها، فهذا التطور لم يكن نتيجة طفراتٍ كما تعتقدون، ولكنّه نتيجة تجاربي وتحويلي للكائنات من شكلٍ معقّدٍ إلى شكلٍ أكثر تعقيدًا.

وليد

قلت: لكن بعض الكائنات انقرضت كالديناصورات مثلًا.

قال: نعم، قمت بتطويرها ولكنني وجدت أنها فاشلةٌ فقمت بمسحها وعدت إلى نقطةٍ سابقةٍ وأعدت التجربة حتى وصلت إلى الشكل الحالي، الإنسان وهو أفضل ما طورت حتى الآن وقد عملت منه الكثير من الأشكال والألوان لكي أختبر أفضل النتائج التي أريدها.

قلت: وستطوره طبعًا مع الوقت لتحصل على كائنٍ أرقى وأفضل.

قال: بالتأكيد، لو نظرت لرأيت أن هذا يتم بالفعل.

قلت: لم أر كائناتٍ أرقى من الإنسان.

قال: التطور ليس بالسهولة التي تراها لكنّك لو رأيت أشكالًا للإنسان منذ مئة سنةٍ فقط لأحسست أنّ الشكل مختلفٌ وأن هذا الكائن أقدم منك.

قلت: نعم، فأنا أرى أفلامًا قديمةً وأحسّ أنّ أشكال البشر بها مختلفة، صحيحٌ أن الاختلاف ليس ملحوظًا تمامًا لكنني أحس بفارقٍ بالتأكيد.

قال: هل أصبحت الصورة أوضح الآن؟ لماذا هناك الأرض فقط ولماذا كل هذه الكائنات.

قلت: نعم، علمت لماذا هذا التماثل بين الكائنات والتطور الذي لم أفهم الغرض منه وكأنه سلسلة.

قال: أنت الآن صورةٌ مصغرةٌ من هذا الكون، جسدك هو صورةٌ مصغرةٌ مني، إنّ ما يحدث بداخلك هو أقصى ما استطعت تطويره، لقد أصبح الإنسان نفسه الآن يحاول صناعة صورةً مصغرةً منه ليقوم بنفس الدور الذي أقوم أنا به من تجاربَ وسمّاه الإنسان الآلي، إن الرغبة في التطوير بداخلك جزءٌ منك لأنك جزءٌ منّي تريد أن تطوّر وتخلق، حتى جسدك به تناهٍ في الصغر حتى ليبدو وكأنه الكون لكائناتٍ مثل الفيروسات التي تماثلك أنت بداخلي، لذلك تلحظ التناغم بين الكون الكبير بداخلي والكون الصغير بداخلك.

قلت: لكن اسمح لي، لماذا هذه القسوة علينا؟

وليد

لقائي مع الله

زلازل، براكين، موت، ألست قاسيًا علينا؟

قال: أنت صورةٌ مني، ألست تقتل الكائنات الأخرى لكي تعيش؟ ألست تقوم بتجارب على كائناتٍ أخرى لكي تعيش؟ ألا تقوم بتعريض كائناتٍ أخرى لظروفٍ لا تتحملها أنت لكي تحصل على النتائج المعملية؟ لتحصل على حياةٍ أفضل؟ إنك تقوم بهذا لأنك جزءٌ مني وأنا أقوم بهذا لأنك مخلوقٌ أساسًا لهذا.

قلت: لماذا إذًا المرض والموت في أعمارٍ مختلفة؟ أطفالٌ وأحيانًا شيوخ؟

قال: أحتاج لوضع تفاعلاتٍ معينةٍ داخل الأجساد لمعرفة التطور الذي ستصل إليه وأحيانًا أنجح في حل المشكلة فتظن أنّك شُفيت، وأحيانًا لا تنجح فتموت، واختلاف الأعمار بسبب أنني أحتاج جميع الأعمار للتجربة، وعند استنفاذ الجسد للتجارب يشيخ ويموت.

قلت: لذلك نتطور ثم نشيخ ونموت وكذلك كلّ شيءٍ في الكون؟

قال: نعم، لا يتحمل الجسد تجارب أكثر، فينتهي ويموت ليأتي غيره ويكون أكثر تطورًا وهكذا.

قلت: ولماذا الذكر والأنثى؟

قال: أقوم بخلط جميع الصفات وأعيد توزيعها فاحصل على جميع الاحتمالات وأختار أفضلها.

قلت: ظننتك قادرًا عالمًا لا تحتاج إلى هذا.

قال: لم أقُل هذا.

قلت: قال بهذا رسُلك الذين أرسلتهم إلينا.

قال: لم أرسل رسلًا بشكلٍ مباشر، لكن يمكنك أيضًا اعتباري أرسلت رسلًا.

قلت: كيف؟

قال: أنا لم أكلّف أحدًا بتبليغ رسالةٍ إلى بقية البشر، ولكن أيضًا هيّأت لهم الظروف ليقوموا بتلك المهمة، فلو أردت منعهم لفعلت ولكني لم أفعل.

قلت: وما الهدف منهم؟

قال: جمعُ الشعوب وتجميعها وصبغها بصفاتٍ مشتركة، في دمك خلايا ذات فصائل مختلفة، وهذا يعطي لكل فئةٍ صفاتٍ يحتاجها الجسد.

قلت: إنّ أكثر ما يشغل بالي الآن هو ماذا بعد الموت؟ لقد فهمت لماذا أموت، ولكن ماذا بعد الموت هل تنتهي حياتي هكذا؟

قال: لا، بل تبدأ حياةٌ مثيرةٌ أخرى، إنّ جسدك ينتهي، ولكن أنت في النهاية جزءٌ منّي، وأنا لا أموت، مجرد موتك هو تحولك إلى شكلٍ آخر يمكنه التجول داخلي لأداء مهماتٍ أخرى.

قلت: أأكون مثل هذا الكائن الذي أتى بي إلى هنا؟

قال: نعم، وأشياء أخرى كثيرة.

قلت: مثل ماذا؟

قال: سأجعلك الآن تعبر إلى تلك المرحلة وترى بنفسك، لا تقلق عند نهاية جولتك ستعود إليّ مرةً أخرى.

وليد

لقائي مع الله

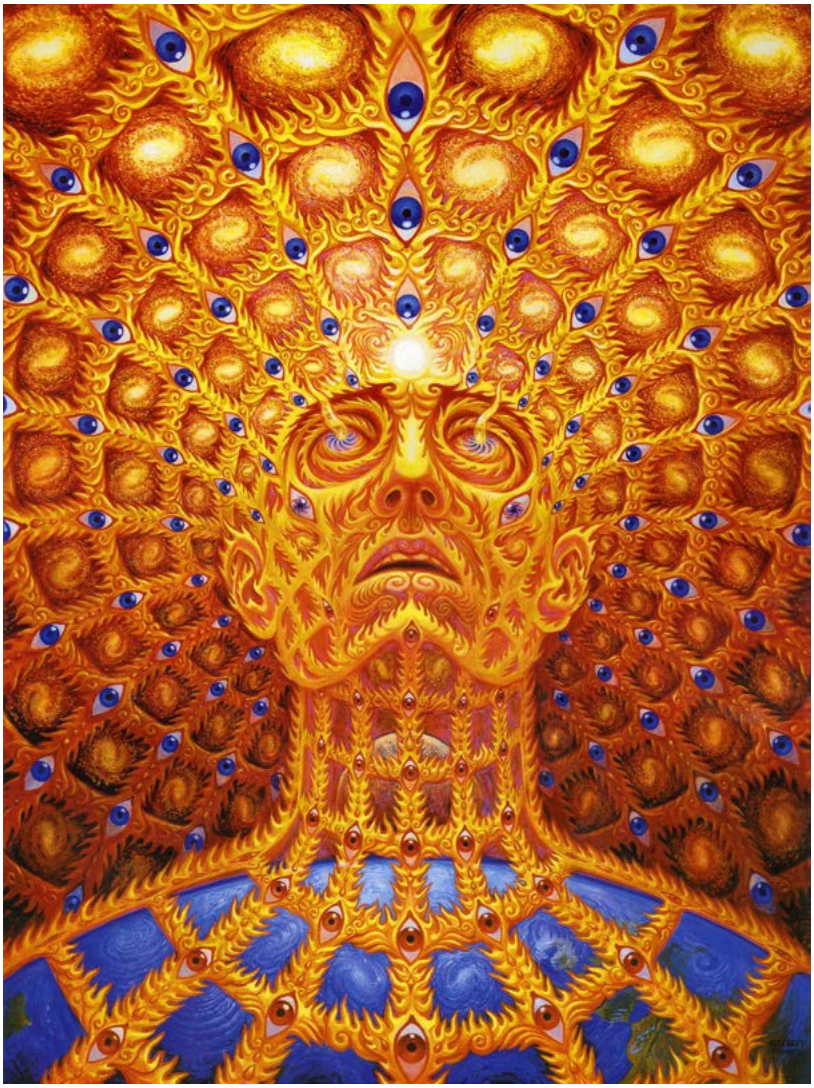

سمعت في رأسي طرقًا عنيفًا وأصوات همهماتٍ وأضواءُ تأتي من بعيد، ثم أصبحت وكأني أخفّ من الهواء وأشعر برغبةٍ في الطيران، ها أنا أطير، إني أستطيع الطيران، لكن ما هذا؟ إنني أرى جسدي كاملًا لأول مرةٍ في حياتي، لقد أصبحت أرى وأسمع وأطير ولكن أشعر برغبةٍ كبيرةٍ في تأمّل جسدي وجهًا لوجه، إنه شعورٌ غريب، إني أحاول أن أحرّك هذا الجسد كما تعودت ولكنني لا أستطيع، شعرت بمرارةٍ في البداية ثم بدأت أستمتع بقدرتي الجديدة على التنقل بين أرجاء جسد الله بسرعةٍ رهيبة، توقّفت عندما وجدت نفسي، نسيت لماذا أنا كذلك، لقد وعدني الله أن يريني ماذا أفعل بعد الموت، هل سأظل أطير؟ ثم ماذا؟ نظرت حولي فوجدت زميلي القديم مرشدي ولكنه كان مثلي هذه المرة هائمٌ في الكون.

قلت: أنت أيضًا أصبحت بلا جسد.

قال: هل فهمت الآن ماذا أكون؟ هل فهمت ما كان يدور في ذهنك؟

فلت: نعم، ولكن بقي أن أعرف ماذا أفعل؟ لقد كنت مضطربًا في البداية عندما رأيت جسدي ثم بدأت أستمتع بقدراتي الجديدة ثم بدأت أتساءل وماذا بعد؟ فرأيتك أمامي.

قال: سنذهب الآن لترى مهماتك الجديدة، سنذهب أولًا حيث مكان الذين هم قادمون توًا من الدنيا وما زالوا لا يفهمون ما دورهم الجديد مثلك تمامًا. سآخذك إلى رجلٍ مسنٍ مات منذ قليل.

قلت: مثلي؟

قال: أنت ستعود، أمّا هو فأمامه وقتٌ طويل ليقضيه هنا.

قلت: لا أستطيع الانتظار.

ذهبنا هذه المرة طائرين وكنت أسبقه أحيانًا سعيدًا بقدرتي الجديدة مثل الأطفال.

وصلنا.

وليد

لقائي مع الله

الرجل: هل قامت القيامة؟

مرشد: لا توجد قيامة، اهدأ.

الرجل: لقد عشت عمري كلّه أعبد الله ثم تقول لي لا توجد قيامة!

مرشد: لقد عشت وأدّيت مهمّتك والآن ستؤدي مهمةً جديدةً.

الرجل: وما يدريني هذه المرة أنها ليست خدعةً أيضًا؟

مرشد: لا خيار لك، اتبعني وليس ذنبي أنّك لم تستخدم عقلك في التفكير كما أنك كنت سعيدًا بإيمانك ولم تخسر شيئًا.

بعد فترةٍ بسيطة جاءت امرأة، وبمجرد أن رأتنا دار بيننا هذا الحديث:

المرأة: كنت والمسيح سأتوب ولكنّ الرب لم يمهلني، أرجوكم لا أريد الذهاب إلى الجحيم، أرجعوني وسأؤمن بيسوع المخلّص، أين أنت يا يسوع لتخلصني؟

مرشد: سترين يسوع الآن لقد جاء هو الآخر منذ ألفي سنةٍ وستسعدين بصحبته.

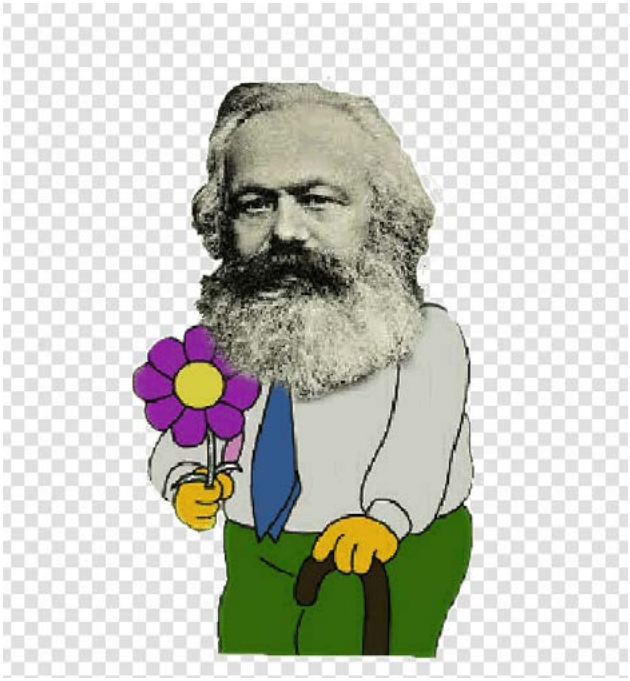

قلت: هل الأنبياء هنا أيضًا؟!

قال: الكل سواء، إننا تعودنا على هذا كثيرًا، وأكثر ما جعلنا نبتسم هي قصة ذلك الشخص الذي كان يُدعى في حياته كارل ماركس، كان رافضًا لأن يتحرك لأنه ليس من المفروض أن يكون هنا بعد الموت ولم يقتنع إلاّ بعد أن تركناه وحيدًا مدةً طويلة، وبدأ يفهم ما حوله.

قلت: وما يفعل هؤلاء عندما يصعدون ويأتون إلى هنا؟

قال: يتم إفهامهم أنهم أصبحوا بلا جسد، وأنهم لن يستطيعوا فعل أي شيءٍ إلا الشعور ونقل الشعور.

قلت: إنه شعورٌ غريب، أنا ما زلت أتذكر كلّ شيءٍ وكأنني في الدنيا، ولكني لا أستطيع عمل أي شيءٍ سوى الإحساس فقط.

قال: لا تقلق، عندما تندمج في حياتك الجديدة ستنسى ذكرياتك القديمة.

قلت: إني أشتاق لأهلي، هل هذا الشعور سيستمر مع القادمين؟

قال: لا، إنك تقول ذلك لأنك لم ترى حياتك الجديدة بعد.

قلت: وماذا يفعل القادمون؟

قال: في البداية يكونون مسؤولين عن إحداث التغيرات في الكائنات الحية كجزءٍ من العوامل التي تُشارك في تهيئة جو التجربة.

قلت: لا أفهم جيدًا، ماذا تقصد؟

قال: ألم تشعر أحيانًا أنك منقبضٌ ولا تعرف لماذا؟ ألم تحسّ أحيانًا أن هناك أحدًا معك في مكانك ولكنك لا ترى أحدًا؟

وليد

لقائي مع الله

قلت: نعم، تنتابني هذه الأحاسيس وأحيانًا أكون سعيدًا وفجأة أفقد الرغبة في الحياة مع أنه لم يحدث لي شيءٌ جوهري.

قال: إن هذا جزءٌ من التجربة على الكائن، ألم تشعر أحيانًا أنّ كلبًا يتصرف كالمجنون أو ديكًا يصيح بغير وقته أو ربما قِطٌ يجري فجأةً لهدفٍ لا تراه.

قلت: نعم، أنا أرى ذلك دائمًا، ويعتقد الكثيرون بوجود جنٍّ أو أرواحٍ أو ما شابه ذلك.

قال: إن هذا بسبب تأثيرنا على الكائنات التي ما زالت في طور التجربة، نحن نقوم بالتأثير والتهيئة لمرضٍ أو حادثٍ أو دفع كائنٍ حيٍّ حتى لو كان سمكةً إلى مصيرٍ نريده.

قلت: فعلًا، أحيانًا أقرر فجأةً عمل شيءٍ بعد أن أكون لا أفكر فيه أصلًا، أو ينقبض قلبي من فعل شيءٍ بدون سببٍ واضح، وهل لهم دخلٌ في أحلامي؟

قال: بعد فترةٍ وعندما ترتفع قدرة الوافد الجديد يدخل في طورٍ جديدٍ وهو التحدث مع الكائنات وليس التأثير فقط، فقد يرغب والدٌ في توصيل رسالةٍ إلى ابنه مثلًا أو توصيل معلومةٍ ما، فيتم هذا عن طريق التأثير والتفاعل.

قلت: إنكم تتداخلون مع البشر؟

قال: ليس البشر فقط، كما قلت لك، كلّ الكائنات تحلم وتحسّ كما تحسّ أنت.

قلت: ولماذا يتدخل روح، سأسميه روحًا لأنني لا أعلم اسمًا آخر في تبليغ رسالةٍ لشخصٍ ما؟

قال: إنها توجيهاتٌ من الله ليجعل عقلك يعمل، فمن ضمن التجارب التي يحتاجها هي نشاط العقل وقدرته على التطور كما شرح لك، وهذا هو الهدف من الخلق.

قلت: أي أنها إشاراتٌ تقول لك استخدم عقلك ليتطور وأتطور أنا معه.

قال: نعم.

قلت: وهل هناك أدوارٌ أخرى غير التأثير في الحياة والأحلام؟

قال: نعم.

قلت: مثل ماذا؟

قال: بعد فترةٍ يقوم الله باستقبال الوافدين الجدد وهناك من يحوّله الله إلى كائنٍ جديدٍ تمامًا.

قلت: ماذا؟

قال: هناك من يحوله الله إلى أجزاء جديدة.

قلت: كيف؟

قال: ألا ترى تلك النباتات على الأرض؟

قلت: نعم.

وليد

لقائي مع الله

قال: أتدري كيف تعيش؟

قلت: كيف؟

قال: تلك النباتات هي أرواحٌ قديمةٌ كانت حيةً وكانت في حياتها تنفع الناس الآخرين.

قلت: يعني أن هذا تكريمٌ له؟

قال: نعم، تحتاج التجربة إلى تفاعلٍ مع النبات، والنبات يحتاج إلى حياة، والحياة إلى روح، والروح المعطاءة في الكون تعود على شكل نباتٍ يفيد الآخرين كما أنه ينتقل إلى أجساد الكائنات الأخرى في دورةٍ معقدة، فعندما تأكل أنت أو أحد الحيوانات نباتًا فإنّ تلك الروح المعطاءة تحاول التأثير عليك لتأخذ جزءًا من قدرتها على العطاء.

قلت: هل تموت الروح عندما يموت النبات؟

قال: الروح لا تموت لأنها جزءٌ من الله، والله لا يموت.

قلت: إذًا تعود إلى جسد الله مرةً أخرى؟

قال: نعم، تدور وتكوّن نباتًا جديدًا لخدمة بقية الكون.

قلت: وماذا لو كان الكائن يضر غيره؟

قال: إنّه في النهاية جزءٌ من التجربة، ولو كان وجوده غير مجدٍ لما أوجده الله، فالشر أيضًا ضروريّ.

قلت: أنا أحس الآن أنني سعيدٌ لأنني علمت أشياءَ لم أكن أعلمها قديمًا وكنت أسمع تفسيراتٍ لا تقنعني.

قال: عقلك هو طريقك في الحياة، لا تعتقد أنك تحتاج إلى عقل غيرك ليخبرك، فلو كان القرار خاطئًا فستدفع ثمن خطأك أنت لا ثمن أخطاء غيرك.

قلت: كيف أعود إلى حياتي؟

قال: ستعود كما جئت.

عندما بدأت رحلة العودة بدأت أفهم ما أرى، أرواحٌ تأتي، أرواحٌ تستغرب، أرواحٌ لا تبالي، كلها أمامي، لا أدرى كيف يُضيّع الإنسان حياته في انتظار أشياءَ بلا دليلٍ ويبني كلّ أحلامه ومبادئه على أساطير بلا دليلٍ قويٍّ وينفي عقله لأن غيره قرر.

أثناء عودتي إلى الأرض بدأت أفهم تلك الأصوات المرعبة التي كنت أسمعها، إنها أصوات الحسرة عندما يكتشف الجميع أنه كان يعيش من أجل الله ومن أجل خدمة هذا الكون وبقاءه بينما أضاع عمره يعتقد بأنّ الكون موجودٌ له ولخدمته وأن الله كان ينتظره لخدمته في الجنة ولتلبية رغباته المريضة.

مشيت في شوارع القاهرة وأنا أحسّ بالزهو فأنا لن أخاف الآن من الموت، إنّه دورٌ جديدٌ لي يجعلني جزءًا من هذا الكون الكبير وأنا في النهاية جزءٌ من منظومةٍ كبيرةٍ اسمها الله، لست عبدًا له، بل جزءٌ من الله كما احتاجه فهو يحتاجني، أنا لست مخلوقًا لشهوةٍ أو نزوة، أنا مخلوقٌ لأكون جزءًا من هذا العملاق، أنا أحتوي على سر الحياة.

رسومات دينية ساخرة

غير مناسبة لذوي المشاعر الدينية المرهفة

www.facebook.com/M-80-II-941772382615672

كاريكاتور

زياد عبد الرحمن

لا يمكن لأي مجتمع أن ينهض و يتصالح مع الحياة ما لم يتصالح مع العلم و معاني التجديد والإبداع ..

Abdu Alsafrani

نحن لدينا سوبرماركت، أنت فقط قل ما تريد ونحن نوفر لك طلبك

Hassen Al-Ghazali AlHashemi

«الدوغمائية» المفرطة أو حالة الجمود الفكري مع التعصب للمعتقدات و الأفكار و القناعات و التي يعاني منها المتدين تتضح جلية في التناقض في عقلية المسلم و تأييده للإعجاز العلمي في القرآن مع رفضه و إنكاره للنظريات العلمية التي ثبت صحتها و التي تتعارض مع القرآن .

Samir Nasser

الاسلام يصبح مطلق فقط عندما تفضحه بالعلم والمنطق، ويصبح نسبي عندما يريد نشر خرافاته بالاعتماد على تفسيرات شبه علمية .

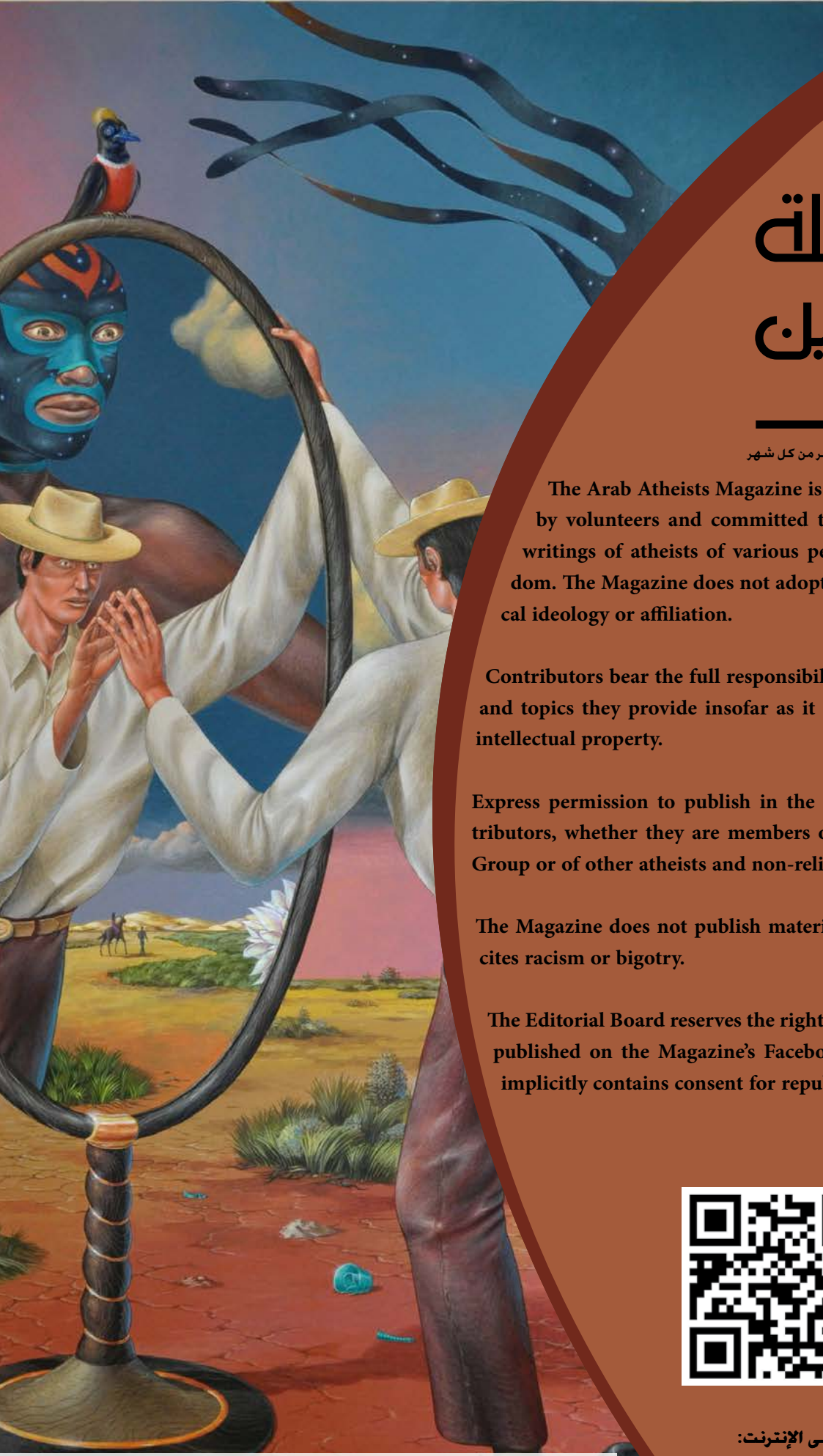

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

The Arab Atheists Magazine is a digital publication produced by volunteers and committed to promoting the thought and writings of atheists of various persuasions with complete freedom. The Magazine does not adopt or endorse any form of political ideology or affiliation.

Contributors bear the full responsibility of the content, illustrations and topics they provide insofar as it covers copyright and issues of intellectual property.

Express permission to publish in the Magazine is provided by contributors, whether they are members of the Arab Atheists Magazine Group or of other atheists and non-religious contributors.

The Magazine does not publish material that is unethical or that incites racism or bigotry.

The Editorial Board reserves the right to republish content originally published on the Magazine's Facebook group, as publishing there implicitly contains consent for republication in the Magazine.

موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com
البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي